

د. مختار عجوبة



# أصول الأدب السوداني

دار مكة للنشر والتوزيع

# أصول الأدب السوداني

# أصول الأدب السوداني

د. مختار عجوبة



دار عزة للنشر  
مطابعون - موزعون - وكالة دور نشر

الكتاب : أصول الأدب السوداني

المؤلف : د. مختار عجوبه

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/١٦٤٠٨

تاريخ النشر : ٢٠٠٤

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة ولا يسمح بإعادة  
نشر هذا العمل كاملاً أو أي قسم من أقسامه ، بأي شكل من  
أشكال النشر إلا بإذن كتابي

الناشر : دار عزة للنشر والتوزيع

الإدارة : شارع الجامعة - الخرطوم - جنوب وزارة الصحة .

ت : ٧٨٧٢٠٠٠ فاكس : ٧٩٧٠٨٤ (١١ - ٢٤٩ +)

التوزيع : دار عزة للنشر والتوزيع ت : ٧٨٧٢٠١٠

السودان - الخرطوم . ص.ب : ١٢٩٠٩

azza ph @ yahoo.com

بريد إلكتروني

## تقديم :

مشكلة الثقافة السودانية المكتسبة أي المعلمة أنها ثقافة غير تراكمية ، بمعنى أن اللاحق لا يحاول أن يتعلم شيئاً من السابق ، وإن تعليم شيئاً يحاول أن يخفي معاملة ، ولذلك لا تتطور الفنون والآداب ولا تقدم ، ونظل نطرح قضايا قتلها من سبقونا بقرن من الزمان - تقصياً ويحناً فقضايا الهوية الثقافية غير مستجدة ، ومعظم ما يقال عنها سبق أن قالته أجيال مضت ، ومضي يرافقها جدها واجتهدها ، وبدون أن نتعرف علي ما قالوه في مصادره وبناء علي أقوال سماعية تلتقط من محاضرة هنا أو هناك أو من قراءة مستعجلة ، تحاول أجيال اليوم أن يظهروا بمظهر الفلاسفة في كل ضرب من ضروب الفن - وم حقهم أن يفعلوا ذلك ولكن من حقنا عليهم أن نسألهم - : هل اطلعتم علي ما قاله من سقكم ؟

أصول الأدب السوداني كتيب أعيد نشره لمجرد لفت نظر الباحثين - في أصول الكتابة النثرية الحديثة وفي أصول المسرح وفي أصول القصة وفي أصول الدعوة إلي الأدب القومي - إلي أن هناك شيئاً ذي بال قد سبق وأن تناولته المصادر الأساسية منذ ما يقارب قرناً من الزمان ، والكتيب وهذا المفهوم هو إعادة نشر لمقالات ومساهمات نشرت من قبل في مجلات سودانية . وذلك علي النحو التالي :-

- ١ - الصحافة الأدبية وتطور الكتابة النثرية في السودان - مجلة الخرطوم - ع٣ - السنة الخامسة - ديسمبر - ١٩٦٩م.
- ٢ - مصطفى سعيد - ذلك النيل الأفعي - دراسات عن الطيب صالح في رواية موسم الهجرة إلي الشمال - مجلة الخرطوم - ع٤ - السنة الخامسة - ١٩٧٠م
- ٣ - أصول القصة الحديثة في السودان - مجلة الخرطوم - يناير ١٩٧٥م.
- ٤ - أصول المسرح الحديث في السودان - مجلة الثقافة - ع١٣ السنة ٤ - فبراير ١٩٨٠م
- ٥ - أصول الدعوة للأدب القومي في السودان - مجلة الثقافة - ع١٣ السنة ٤ فبراير ١٩٨٠م
- ٦ - أصول الثقافة السودانية - مجلة الثقافة - السنة ٤ - ع١٥ - أغسطس ١٩٨٠م
- وقد يجد القارئ بعض تكرار لفقرات أو صفيحات في صدور بعض المقالات ويرجع ذلك إلي أن بعض الأصول مشتركة من جهة ، ووفاءً للأصل الذي نشرت فيه من جهة أخرى . فمعذرة ..... مختا عجيبة
- الرياض - ٢٠ / ٣ / ٢٠٠٠م.

في هذه المقالة اساساً سأقوم بمحاولة لتقصي العمد التي قام عليها المسرح الحديث في السودان وما تعرض له من مؤثرات أدت الي قيام مسرح سوداني مستقل ومكتمل النضج في الثلاثينات ، وبهذا فلعل هذا المقال يسهم بدور فعال في تقصي الأسس التي قامت عليها النهضة الثقافية في بلادنا .

### أصول المسرح الحديث في السودان ١٩٠٠-١٩٤٠م\*

مختار عجوبه.

دور الاندية والجمعيات الأدبية. وأقصد هنا بالاندية الأبية هو ما كان ينشأ في السودان من تجمعات داخل المؤسسات المختلفة للقيام بنشاط أدبي معين قد، يكون النادي نادياً اجتماعياً وقد يكون رياضياً أو مدرسياً أو قد يكون التجمع خارج هذه الاندية في دور اللهو مثلاً ولكن أفراده يؤدون عملاً أدبياً منظماً، أو غير منظم حين يستبد بهم الطرب، وقد كانت النواة الأولى للمسرح السوداني تجد تربة خصبة في هذه التجمعات الأدبية

### المسرح العربي في السودان :

عرف السودانيون أول ماعرفوا من هذا النوع من الاندية، أندية

---

\* نشرت بمجلة الثقافة ٢ ع ١١ ، حج ٣ ، أغسطس ١٩٧٩م.

الجاليات الاجنبية التي أقامها الموظفون الذين احضرتهم حكومة السودان لشغل الوظائف الحكومية ، أو أندية الجاليات التي جاءت بهدف ممارسة النشاط الاقتصادي الحر. سواء قبل قيام الثورة المهدية أو بعدها كما تدل علي ذلك بعض الكتابات.

وأول عمل أدبي نجد له ذكرا في تاريخ السودان الحديث يدور في أحد الأندية العامة هو ما ذكره محمود القباني أثناء حديثه عن مدرسة الخرطوم الأميرية التي كلف رفاعة رافع الطهطاوي بالاشراف علي افتتاحها . ذكر القباني كيفية اجراء الامتحان في هذه المدرسة سنة ١٨٨١م. ومن ضمن ما يذكر أن الحكمدار قد حضر امتحاناً من الامتحانات وكان معه الاشراف والأعيان وكبار الاداريين . وكانت الموسيقى تعزف تحية بقدمه ، وعندما جلس في المكان المعد للاحتفال ، تقدم طالبان هما طه وحسين ، ومثلا ما احتوته المقامة الحريرية الفقهية ، فكان أحدهم يمثل أبا زيد السروجي . والآخر الحارث بن همام ، بلهجة عربية فصحي ، وأصوات تمثيلية في الذروة من الانتقان بإشارة الأيدي والحركات والرؤوس ، والفضل في ذلك يرجع للأستاذ أحمد محمد الجداوي الأسواني - باشخوجة المدرسة (١).

---

١ - أنظر - حضارة السودان - ٣ ديسمبر ١٩٢٤ - ذكريات الطفولة - حول التعليم في الخرطوم منذ ٥٢ سنة . محمود القباني يذكر أنه كان بالمدرسة حوالي ٤٠٠ تلميذ ، ويذكر أن نظامها كان عسكريا ، وقد أدخل فيها تدريس اللغة الفرنسية . وكانت تدرس ساعتين كل يوم .

وبالرغم من أننا لا نعرف من هما الطالبان طه وحسين ، الا أننا - من هذا النص - يمكن أن نستخلص ما كان يمكن أن يتطور إليه الأدب السوداني لو قدر لهذه المدرسة الاستمرار في أداء مهامها ، ولكن .. ولا أقول للأسف فقد عجلت الثورة المهدية بنهاية هذه المدارس التي أقامها المصريون في أيام حكم الأتراك للسودان وفي اواخر العهد التركي كانت فرق القناء والرقص والعوالم المصرية والمهرجين والحواه تقدم فصولاً تمثيلية في المناسبات العامة والخاصة .

وبعد الفتح الثنائي سنة ١٨٩٨م، نجد أن الموظفين المصريين والأساتذة قد قاموا بنفس الدور الذي قام به الجداوي في آخر القرن التاسع عشر . فقد أخذ هؤلاء الموظفون يقيمون أندية وجمعيات التمثيل التي تجذب إليها الكثير من قطاعات الشعب السوداني ، كما أن الموظفين الانجليز كانوا يجدون متعة في تزجية أوقات فراغهم ، بمشاهدة مثل تلك التمثيليات ، فكانوا يشجعونها ، ويتبرعون بالمال لهذه الفرق . بل ان بعضهم كان يعلق علي مستوى الأداء لمسرحيات مترجمة ، بأنها لا تقل عما يمثل علي مسارح لندن <sup>(١)</sup>

وعلي أيدي الموظفين المصريين والمدرسين السودانيين نشأ نوع من المسرح التعليمي في المدارس . وذلك حتي يستطيع العمل المسرحي أن يؤدي دوره في تغييرات العادات والتقاليد التي تعوق التقدم والتطور ، كما أن هذه المسرحيات توضح في ثناياها. فوائد العلم ومضار الجهل ،

---

١- أنظر رائد السودان - ٦ نوفمبر ١٩١٥ - تسلية شائقة - تعليق أدبي بقلم مشاهد .

والهدف من ذلك هو تشجيع السودانيين علي الإقبال علي التعليم الحديث ، الذي كان كثيرون في البيئات التقليدية يشككون في جدواه . كما أن هذه المسرحيات تحمل طابعاً تعليمياً اسلامياً بهدف تنقية الإسلام في عقول الناس، وتركهم لما يتنافي مع تعاليم الاسلام من عادات وتقاليد . أول من بدأ هذا النوع من المسرح المدرسي هو الشيخ بابكر بدري وذلك بمدينة رفاعة منذ سنة ١٩٠٤ ، فقد كان طلبته يقومون ببعض الروايات ويلقون الخطب ، في بيته ، وفي ليالي الأعياد الاسلامية . ومثل ذلك ما قام به اليوزباشي عبد القادر مختار مأمور القطينة من تأليف مسرحية نثرية باللغة الدارجة سماها « المرشد السوداني »

ومثلها التلاميذ سنة ١٩١٠ م ، وهي مسرحية تتناول توجيهياً - كما يقول الدكتور عابدين - صالحاً لطلاب العلم والمعرفة من ناشئة السودان . ومضمون المسرحية يحث الناس علي الأقدام علي التعليم الحديث كما ينهي عن شرب « المريسة » وعن رقصة « الدلوكة » والمبارزة بالسياط. (١)

كما أن التمثيلية تقدم طالب المدرسة في صورة مهذبة وتقابل بينها وبين

---

١ - أغلب الأدباء والدارسين في هذه الفترة - كانوا ينهون عن الرقص الشعبي السوداني - وهم في ذلك ينطلقون من منطلقات اسلامية .  
أما مبارزة السياط فهي نوع من الاختبار ، كما هو متعارف في الأب الشعبي عبارة عن مرحلة يمر بها الشباب السوداني في القبائل العربية . وبعد اجتيازها يبرهن علي أنه أصبح رجلاً - وهي تشبه حفلات التدشين عند القبائل البدائية.  
أنظر كذلك - أعراس وماتم - الأمين علي مدني - مصر طبعة السعادة سنة ١٩٢٧م  
ص ٦٦

حياة راع رث الثياب خشن المظهر محدود التفكير مظلم المستقبل ،  
وتحدد التمثيلية شخصية «الفكي» بما يجب أن يكون عليه لا علي ماهو  
كائن - فتجعل منه - رجلاً مستتيراً يجاهد بجاهه ونفوذه في أشاعة  
العلم والعرفان بين قومه .

ومايلاحظه الدكتور عابدين عن الحوار في هذه المسرحية . هو أن  
كل شخصية من شخصياتها كانت تتحدث بلغتها المتعلمة ، فالفكي  
والتلميذ يتحدثان بلغة عربية أدبية ، أما الاميون فيتكلمون لهجة دراجة  
أصيلة هي لهجة قبائل الحسانية والحسينات (١) .

كانت هناك مجموعة من الأندية للموظفين في حكومة السودان - وفي  
هذه الأندية كانت تكون الفرق التمثيلية ولعل من أهم الفرق ، فرقة  
تمثيلية كانت مكونة من الموظفين المصريين في الخرطوم .

أما الفرق التي لعبت دوراً حقيقياً في تعريف السودانيين بالأدب  
المسرحي فهي الفرقة التمثيلية التي كان يرأسها الأديب المصري القائم  
مقام محمد بك فاضل والذي يصفه سليمان كشة بأنه قائد النهضة  
الأدبية في تلك الآونة (١٩١٤) وأن له أيادي بيضاء علي هذه البلاد وضع  
أثرها في نفس السودانيين (٢) .

---

١ - أنظر - دكتور عبد المجيد عابدين - تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٢٧٩  
، أنظر كذلك دكتور عابدين - القصة الشعبية في السودان - الدراسات الإضافية -  
الخرطوم ١٩٦٤م - ص ٤ .

٢ - سليمان كشة - سوق الذكريات . ص ٢٩ .

كانت فرقة محمد فاضل تقدم عروضها لموظفي السكك الحديدية بمدينة عطبرة ، وهي مكونة من نخبة من مستخدمي السكة الحديد . وقد ابتدأت نشاطها بتقديم روايات قصيرة حتي يعتاد أعضاؤها علي التمثيل ومواجهة الجماهير المشاهدة ، وعندما وثقوا من أنفسهم ، عهدوا لأديب يسمي عز الدين أفندي صالح بوضع رواية ، ولكنه فضل أن يقوم بالترجمة بدلا من أن يضع رواية قد لا يوفق فيها . فترجم لهم رواية «برباين» للكتاب الفرنسي الشهير الفريد دي موسيه .

ويقول «مشاهد» عنها مثلوها فأجادوا التمثيل بقدر ما أجاد المعرب الاختيار والترجمة حتي أعجب بها الجميع ، وقال مشاهدوها من الانجليز أنها لا تقل عما يمثل علي مسارح لندن . بل بلغ الاعجاب ببعضهم أن منوا الجمعية بمساعدة مالية .

وبما أن معظم الموظفين كانوا من المعلمين فقد كانوا ينتهزون فرصة الأعياد الدينية الاسلامية ، ويقدمون فيها الجديد من أعمالهم - ففي أحد الأعياد سنة ١٩١٥ م . قدمت الجماعة مسرحية «الممثل دافيد جرك» (١)

---

١ - نجد أن مسرحية (دافيد جرك) قد مثلت في مصر في أواخر ١٩١٤م وقد اهتم بها جورج ابيض واشرف بنفسه علي اخواجهها - اما مترجم المسرحية عن الانجليزية فهو محمد عبد الرحيم وكان من هواة المسرح الذين كونوا . جمعية انصار التمثيل . وفي السودان مثلت الرواية في منتصف ١٩١٥ وهذا إن دل علي شئ فإنما يدل علي مدى قرب الصلة الثقافية بين القطرين . انظر الدكتور محمد مندور - المسرح - فنون الأدب العربي.

لمترجمها محمد أفندي عبد الرحيم . ويعلق عليها أحد الكتاب بأن أسلوبها كان جيداً وتمثيلها كان متقناً.

والمسرحية كما ورد في تقديمها بقلم «مشاهد ج» الذي يدرس موضوع الرواية وفلسفة المؤلف فيها ، فاننا نجدها قريبة في مضمونها من المجتمع الشرقي والمشكلات التي بدأ يعاني منها . وهي الزواج والمال والمهر وزواج أبناء العمومة ، فالمال «عرض زائل» . وكذلك تعالج علاقة الأب بالابن الذي يريد التمرد علي محافظة أبيه وتزمته ، وترجع المسرحية وجوب سماع الأبناء لآراء الآباء .

ومن الاسماء التي ذكرها الكاتب يستطيع الدراس أن يستنتج أنه لم يكن بينهم سوداني واحد يشترك في التمثيلية - فهم محرم وواصف ومرتضي .

والكاتب نفسه لم يكن سودانياً فهو يقول : إن المسرحية قد نكرته بسلامة حجازي وباخوان عكاشه وجورج أبيض في اجادتها وحسن أداء ممثلها (١)

هذا وقد نالت هذه الفرقة إعجاب الجميع سواء أكانوا سودانيين أم مصريين أم انجليز فقد جعلها اللواء «مد ونتر» باشا مدير سكة الحديد

---

١ - سلامة حجازي يلقب بالشيخ - زعيم الغناء المسرحي في مصر . وتخرج عليه أخوان عكاشة في التمثيل - وجورج أبيض من المهاجرين الشاميين الذين ساهموا بدور كبير في نشأة المسرح المصري .

تحت رعايته (١)

ومن المآخذ التي وجهها مشاهد «ج» ناقد المسرحية ، التقديم والتأخير للحدث دون أن يعد المشاهد أو يهيئ له ، وقد اعتذر محمد فاضل لهذه المناقص ، بأن الترجمة كانت وفية للأصل ، وكذلك كان التمثيل ، وقد حرص كل من المترجم ومدير المسرح علي أن تكون المسرحية علي ما هي عليه (٢)

إمتدت شهرة هذه الجماعة الي مدن السودان الأخرى حتي نري أن سكان الخرطوم قد طلبوا منها زيارتهم ، ولكن الاستاذ محمد فاضل يعتذر عن الحضور بقوله «اعتذر عن حضور الجمعية للخرطوم لأسباب منها أننا كلنا موظفون ولنا من أشغالنا ما يمنعا أن نبرح العطبرة كلنا الي الخرطوم في وقت واحد ، ومنها أننا نعمل غير مأجورين ، فعملنا ينحصر في تسلية نفوس سكان عطبرة خاصة ، سيما وأن بالخرطوم جمعية للتمثيل هي أعرق في التمثيل من جمعيتنا وعليهم تسلية نفوس سكان الخرطوم (٣)

ولكن فيما يبدو أن للأحداث السياسية التي مرت علي السودان بعد

---

١ - رائد السودان - ٦ نوفمبر ١٩١٥ .

٢ - المراجع السابق .

٣ - رائد السودان - ٢٧ نوفمبر ١٩١٥ - التمثيل بعطبرة - بقلم الكاتب القائم مقام محم بك فاضل .

الحرب العالمية الأولى أثرها في إيقاف تطور هذه الحركة المسرحية ، فقد سادت العلاقة بين السياسة البريطانية والسياسة المصرية بعد ثورة سنة ١٩١٩م. وكان من نتائجها الأحداث التي مرت علي السودان وانتهت بسحب الموظفين المصريين والجيش المصري في سنة ١٩٢٤م.

ولكن هذه الحركة قد عادت الي المسرح مرة أخرى علي أيدي فرق الاقباط المسرحية سواء في المدارس أو في الأندية ، فقد اختار كثير من الموظفين المصريين الأقباط البقاء في السودان بعد ثورة سنة ١٩٢٤م<sup>(١)</sup> ومن الروايات مثلتها فرق الاقباط بمدينة بورتسودان رواية «البدوية» وقد مثلتها فرقة الأقباط الانجيلية، والبدوية رواية مصرية تنور أحدثها في مصر وتحكي حياة البدو في عهد الفاطميين .

وقد قدمت نفس الفرقة رواية «تليماك» ويقول عنها أحد الكتاب الذين من عادتهم عدم التوقيع باسمائهم بأن الاقبال عليها كان فاتراً لأنها كانت تمثل عصر الوثنية<sup>(٢)</sup>

في أوائل الثلاثينات نجد أن الأندية السودانية قد عرفت ماوصل اليه الأدب المسرحي في مصر وخاصة المسرح الغنائي فقد مثلت مسرحية «مجنون ليلي» لشوقي عدة مرات وفي عدة مدن سودانية مثلتها فرقة «السواكنيين» في بورتسودان سنة ١٩٣٢م، كما مثلها موظفو دنقلا في

١ - انظر محمد حسين هيكل . عشرة أيام في السودان ص ٨٢.

٢ - حضارة السودان - ١٨ يونيو ١٩٣٢م - التمثيل في بورتسودان.

نفس العام .

وقد كانت عملية الرجوع الي التراث القومي العربي أكثر جاذبية للأدباء فقد وضعت بعض الروايات عن هذا التراث ، فمثلت الفرق المسرحية مسرحية «العباسة أخت الرشيد» كما مثلت فرقة نادي السواكنيين رواية «صلاح الدين» .

لم تكن الهجرة الي السودان مقصورة علي الموظفين المصريين ، وإنما كان هناك موظفون سوريون ، وتجار سوريون وقد أثرت الجالية السورية في المجال الاقتصادي . أما بالنسبة للمجال الاجتماعي فإنها قد عاشت منعزلة تماماً ، وهي تحرص حتي الآن ١٩٦٨ م . علي هذه العزلة فلهم ناديهم المخصص «للأعضاء فقط» وان زاره سوداني فهو من طبقة معينة (١)

كنا نتوقع أن يكون للسوريين نشاط مهجري كالذين جاؤا لمصر وعلي أيديهم نشطت الحركة المسرحية والأدبية أو كالذين هاجروا الي أمريكا ، إلا أن الذين هاجروا الي السودان لم يعانون من شظف الغيش ووجدوا سبل العمل والثراء أمامهم ميسرة في مجتمع لا يزال يعيش علي الفطرة .

صحيح أن الأوائل منهم والذين جاؤا للتدريس بكلية غردون قد

---

١ - أقصد بالسوريين سوريا الكبرى - وقد كان معظم المهاجرين منها من المسيحيين

أثروا في الحياة الأدبية تأثيراً مباشراً وذلك يرجع الي عروبتهم وإسلامهم كالأستاذ فؤاد الخطيب والأستاذ مصطفى قليات .  
ومما زاد الأمر سوءاً تمكن المخابرات البريطانية من استخدام بعض السوريين المسيحيين في ادارتها ، وكان لا يوراد عطية النور الأكبر في كشف كل مبادرة للخريجين لممارسة أى نشاط سياسي، ولشل حركتهم صادق الكثيرين منهم ، إن لم يكن قد جند بعضهم بالفعل ، فقد كانت أنديةهم تحت رقابته دائماً<sup>(١)</sup>

#### نشأة المسرح السوداني :

ولعل من أهم الأعمال التي لم تجد طريقاً للنشر ، الروايات التمثيلية القومية ، التي كانت تقدمها الفرق التمثيلية في الاندية، وقد كانت هذه الحركة المسرحية متأثرة في ظهورها وتطورها بالمسرح المصري الذي وفد علي السودان، كما أنه ظهر متأثراً بالدعوة القومية وتبلور الشخصية السودانية في العشرينات وماقام به المجددون من شعراء ومغنيي الأغنية الشعبية من تجديد .

المسرح في السودان نشأ هو كذلك مسرحاً تعليمياً ، من ذلك ما أشار اليه الأستاذ حسن نجيلة أثناء حديثه عن المعارك التي حدثت بين المعارضين والمؤيدين لتعليم المرأة سنة ١٩٢٠م.

---

١ - أنظر : أحمد خير - كفاح جبل ص ١٥ وأنظر محمد حسين هيكل ص ٨٣ .

فقد قدم طلبة كلية غردون تمثيلية علي مسرح مدرسة أمدردمان  
الأميرية وتطور فكرتها حول تعليم المرأة . وقد اشتهر بالقيام بهذه  
التمثيلات جماعة من شباب الموظفين والطلبة ، وقد طار صيتهم وجذبوا  
إليهم أعدادا كبيرة من الطلبة والموظفين . ويذكر من هؤلاء الشبان -  
عرفات محمد عبد الله وعبد الرحمن علي طه وصديق فريد وعلي بدري  
وعوض ساتي وعلي نور «المهندس» (١)

وأول مسرحي سوداني عمل عملا جادا ويمكن أن نبدأ منه هو عرفات  
محمد عبد الله ، فبعد عودته من مصر الي السودان كون فرقة تمثيلية  
من الضريجين واخرجت «مجنون ليلي» و«نكبة البرامكة» وغيرها من  
الروايات .

وقد بلغ رواج الفرقة وانتشار سمعتها أن الزحام عند «شباك  
التذاكر» كان يشهد للشعب السوداني بأنه «تواق للفن» محب للجمال  
وظلمان للمعرفة، وأنه يوما ما سينطلق الي الحرية (٢)

وكانت حرية المسرح وانطلاقه تتمثل في الاستجابة لدعوات التجديد  
في الأدب السوداني ، الشعبي والفصيح منه ، وقد أجاب الأدب  
المسرحي خير اجابة علي تلك الدعوات فاتجه الأدياء الي تأليف

---

١ - حسن نجيلة - ص ٦٦ . أنظر الرسالة ص ٢٨ .

٢ - مجلة القلم - العدد الأول - فبراير ١٩٦٧ - شخصيات سودانية مقالة ص ١٩

الروايات القومية ، بادئين بالمسرح الغنائي . وما كتبه الأدباء من مقالات وتعليقات تدلنا علي أن مسرحية «مجنون ليلي» لشوقي كانت تجد رواجاً لدي المسارح والأندية السودانية فآكثروا من تمثيلها في مختلف الأندية وفي شتي مدن السودان (١)

فالبيئة العربية الببوية التي تدور فيها أحداث مسرحية «مجنون ليلي» مشابهة للبيئة السودانية العربية في عاداتها وتقاليدها وسبل حياة السكان فيها . وقد أوحى هذا للأدباء بأن يرجعوا الي أنبهم القومي المحلي يستوحون منه صوراً مشابهة لقصة «مجنون ليلي» فكان أول عمل روائي منتزع من البيئة السودانية هو رواية «مصراع تاجوج ومطلق» (٢) وقصة حياة تاجوج ومطلق مشابهة تماماً للقصة الغرامية العربية في أرض الحجاز .

لا غرابة في ذلك فإن أحداث القصة تدور في المنطقة الساحلية الواقعة علي البحر الاحمر من السودان - وهذه المنطقة مقابلة للمنطقة الساحلية من جزيرة العرب والصلة التاريخية والسكانية متينة منذ القدم

---

١ - انظر جريدة الحضارة - ١٨ يونيو ١٩٣٢ - التمثيل - أنظر تعليقات التجاني يوسف بشير عليها - في - هنري رياض - التجاني شاعراً وناثراً ١١٩ - ١٣١ .  
٢ - كما أوحى قصائد شوقي التي يقف فيها علي آثار الحضارة العربية والإسلامية لبعض شعرا السودان كمحمد سعيد العباسي بأن يقفوا علي آثار الحضارة السودانية أوحى مسرحية «مجنون ليلي» للأدباء السودانيين بأن يرجعوا الي تراثهم القومي .

بين الساحلين .

ويخلص لنا الدكتور عبد المجيد عابدين التشابه بين هذه القصة والقصص الغرامي عند العرب «فمن ذلك هيام المطلق في الصحراء بعد أن طلق تاجوج ، وتعرضه للمتاعب والمشاق ورفضه نصحية الناصحين واصابته بمرض أعيا الطبيب مداوي ، وارساله جاريه تنظر الي تاجوج وتأتيه بأخبارها كل ذلك نجد له نظائر في القصص التي نشأت علي الجانب الغربي من الساحل . ويعد طلاق تاجوج تزوجها النور بن اللمم ، فحقد عليه المطلق وجد في البحث عنه حتي التقى به في بادية الحمران ، فتصارعا كما تصارع الفرزدق مع ثوبة بن الحمير . في قصة ليلى الاخيلية (١)

وقصة تاجوج ومطلق تنتهي بموت المطلق شهيداً للحب والغرام يلفظ أنفاسه وهو في حجر تاجوج التي جاءت لعيادته ودموعها تنقطر فوق جسده المنهك الهزيل حزناً علي أيامه وشبابه ووفائه في حبه . وأخيراً تقتل تاجوج حين تهجم علي قبيلة الحمران عصابة من قبيلة الهندنوة وقد كانت تاجوج في القافلة التي هاجمتها هذه العصابة ، فقتلتها العصابة . ويقال أن قبيلة الهندنوة هجمت علي الحمران وأسرت تاجوج في من أسرت. وخوفاً علي قبيلته من التمزق وافتتان شيوخها بجمال

---

١ - د . عبد المجيد عابدين - القصة الشعبية في السودان ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

تاجوج ، تقدم رئيس قبيلة الهدندوة وطلعتها طعنة قاتلة أراحت منها  
القبيلة. (١)

وعقدة الراوية تقوم علي أن الملق طلب من تاجوج أن تتجرد عن  
ثيابها وترقص أمامه عارية ، إما لانه معجب بجمالها في رواية ، وإما  
لأنه كان يريد من صديقه النور بن اللمم أن يراها لأنه أنب الملق علي  
تشببه بجمال تاجوج ، وهي ليست من الجمال حتي تستحق منه هذا  
التشبيب والتعلق بها . فما كان منه إلا أن يشترط أن يشاهد جمال  
تاجوج وهي متجردة عن ثيابها . علي أن يتم ذلك نون علمها - وعندما  
نفذت له رغبته ، طلبت منه أن يحقق لها رغبته هي كذلك ، وقد كانت  
تعلم بما يجري في الخفاء كما أن ابن اللمم كان يريد أن يدبر مكيدته  
تفرق العاشقين ، فقد شغلته هو كذلك تاجوج بجمالها ، ويوافق الملق  
ويقسم علي أن يفني لتاجوج بطلبها وعن طيب خاطر ، فاذا هو الطلاق  
الذي لا رجعة فيه ، وعلي الفارس أن يفني بما وعد (٢)

وقد اصبحت القصة تراثا شعبياً يتناقله السودانيون في مختلف  
بيئاتهم ويضيفون للقصة الأصلية ، ويحذفون منها ، حسب مايتطلبه

---

١ - أنظر - محمد صالح ضرار - حياة تاجوج والملق . شركة الطبع والنشر

الخرطوم - بلا تاريخ ص ٩٣ . ١٠١ .

٢ - المرجع السابق ص ٥٢ .

## الأداء وما يشيحه الرواة (١)

وفي نادي السواكنيين (٢) نجد تجاوراً زمنياً وتلازماً واضحاً بين قصة «مجنون ليلى» وقصة «تاجوج والمعلق» ففي الوقت الذي يلقي فيه حسب الله ملاسي محاضرة عن مسرحية مجنون ليلى . نجد في نفس الوقت محمد صالح ضرار - يلقي محاضرة عن تاجوج والمعلق (٣) .

ويعلق كاتب آخر علي صفحات حضارة السودان سنة ١٩٣٥م علي رواية «مصرع تاجوج ومعلق» بالنوييت السوداني الرصين ، ولم تتح لنا الظروف لأن نكتب عنها إلا هذه الأونة بعد أن ظهرت علي عدة مسارح ،

---

١ - لمؤثرات قبلية يحاول محمد صالح ضرار أن ينفي عن تاجوج وهي ابنة قبيلته أنها قد تجردت من ثيابها . حتي أنه يستنكر ما أضافه خيال الرواة الشعبيين للقصة من أحداث ولكن لا غرو في ذلك فقد فعل الخيال الشعبي . في سيرة أبي زيد الهلالي وفي سيرة سيف بن زي يزن ما فعله في قصة تاجوج . فأضاف لهذه السيرة وحود فيها بما يتلامم والبيئة السودانية - انظر عابدين - تاريخ الثقافة العربية ص ٢٧٠ . ٢٧١ . ٢٧٢ .

أنظر محمد عوض محمد - السودان الشمالي . سكانه وقبائله - الترجمة والطباعة والنشر ١٩٥١ ص ٥٧ / ٥٨ . وقد ألف عثمان هاشم رواية عن قصة تاجوج ومعلق بالعربية الفصحى . وقد ألف فيها كثر من أدباء السودان روايات تمثيلية . لم يقدر لها أن تطبع .

٢ - مقرة بورتسودان .

٣ - أنظر حضارة السودان - ٤ مارس ١٩٣٥ . والمحاضرة التي ألقاها محمد صالح ضرار عن «تاجوج والمعلق» اضااف اليها بعض الراسات وأخرجها في كتابه «حياة تاجوج والمعلق» فيما بعد .

ومثلت في مختلف مدن السودان المهمة . ولم يكن الدافع في ذلك إلا لقيام بعمل الخير . وقد يستغرب القارئ عندما يعرف أنها مثلت حسب طلب الجمهور لها أربع عشرة مرة ، وأول مرة لذلك كانت ليلة ١٦ فبراير ١٩٣٣م ، لمساعدة مدرسة الأحفاد ، علي مسرح خريجي مدارس السودان . وآخر مرة وهي المرة الرابعة عشرة ليلة ٥ مايو سنة ١٩٣٥م لمساعدة نادي الامريكان بأمر درمان علي مسرح مدرسة الفضيلة والعلم سابقاً . وقد نجحت فرقة الزهرة الرياضية في أداء هذه الراوية ، لأن لغتها هي اللغة التي يفهمها الجميع . وأنها في الثوب الذي نعتبره أقرب ثوب وأصدق مظهر لرواية سودانية كهذه - وأنها بعد ذلك أول رواية سودانية لا من نوعها فقط ، بل من كونها رواية في حد ذاتها . فما من رواية مثلت في السودان حتي يومنا هذا إلا وإنها ، إما مؤلفة بلغة مصرية أو مترجمة فيها . نحن بحمد الله لا ترجمة ولا تأليف عندنا فكيف إذاً لا نفخر ونحن الآن بصدد رواية سودانية باللغة السودانية المفهومة يؤلفها سوداني صميم .» (١)

لقد كان استخدام العامية في المسرح استجابة قد تكون مباشرة أو غير مباشرة لدعوة الأمين علي مدني إلي احترام العامية السودانية

---

١ - حضارة السودان ١٦ / ١١ / ١٩٣٥ - مقالة بقلم خوجلي مصطفى أرياب . يلاحظ أن الفرق كانت تقدم أعمالها وما يترتب عليها من نخل يذهب من أجل الاعمال الخيرية كالمدراس الأهلية واعانتها . وكالمساهمة في ملجأ القرش مثلاً .

«عندي من الصواب أن نحترم لغتنا الدارجة لأنها اللغة التي نتكلم بها مع آبائنا داخل منازلنا وخارجها وهي التي لا يمكننا أن نتفاهم بغيرها ، فإن لم نحترمها الاحترام كله فلا يصح أن نزدري بها الي حد اضهاط من يستعملها في خطراته الشعرية أو الغناء»<sup>(١)</sup>

ومما ضمن لرواية «مصرع تاجوج ومحلّق النجاج ، أنها رواية غنائية بالديويت السوداني ، وهذا ما جعلها قريبة من بيئتنا البدوية ، وكان الممثلون ينشدون أشعار أبطالها الحقيقيين كما تواترت لهم عن رواتها»<sup>(٢)</sup>

هذا وان كانت هذه. الروايات قد تعرضت لنوع غريب من الانتقادات من ذلك ملاحظة أحد الكتاب علي رواية تاجوج ومحلّق . والتي يؤاخذ عليها المؤلف ، لأنه لم يهتم بقواعد الاسلام في الطلاق وفي الزواج والعدة ، لقد كان المشاهدون حساسين لهذه الناحية دائماً فيما يبديونه من تعليقات<sup>(٣)</sup> .

وعلي جميع مسارح الأندية السودانية في مختلف مدن السودان نجد نشاطاً مسرحياً واسعاً ينتشر في سرعة غريبة لم تمر علي

---

١ - الأمين علي مدني - أعراس وماتم ص ٤٩ - ٥٠ .

٢ - انظر - محمد صالح ضرار - أشعار المحلق - في كتاب (حياة تاجوج والمحلّق)

٣ - انظر - حضارة السودان ٢١ / ١ / ١٩٢٥م - تاجوج ومحلّق - تعليق أنبي .

السودان من قبل أو من بعد ففي سنة واحدة هي سنة ١٩٣٥م، نجد أن هناك عدة روايات قومية قد مثلت .

من هذه الروايات رواية «الملك نمر» ورواية «خراب سوبا»<sup>(١)</sup> وهي روايات منتزعة من أحداث تاريخية قومية مرت علي السودان - كما قام فريق كشافة الهلال بتمثيل رواية «الحرب والوطن» وفي المسرحية تنهزم العاطفة في سبيل الوطن . كما مثلت رواية «البتول» و«عائشة بين صديقين» و«فتاة المستقبل» .

أخذ الأدباء يشجعون مثل هذه الروايات «ولي رجا» أوجهه للطائفة المثقفة من مواطني الكرام في أن يعملوا بدورهم في هذا المضمار باخراج أمثال هذه القصص للشخصيات التي كانت تندثر معالم تاريخها في قالب عربي ، سواء كان بالنتثر أو النظم مع مراعاة الجري وراء الحقائق التاريخية أكثر من التعلق بالخيال ، وخصوصا وأن هناك أشخاصا في هذا الجيل يعلقون كثيرا من الوقائع التاريخية قبل ثلاثة أجيال مضت تلقفاً من آبائهم ومن سبقهم»<sup>(٢)</sup>.

ومن الطريف أن أدوار المرأة كان يقوم بها مجموعة من الشبان بعد أن يلحقون بأجسامهم بعض معالم المرأة الجسمانية والجمالية - ومن

---

١ - رواية خراب سوبا مثلتها جماعة «الزهرة» علي مسرح «برمبل».

٢ - أنظر حضارة السودان - ٢٨ / ٣ / ١٩٣٥ - حول رواية الملك نمر - تعليق وانظر - عابدين ص ١٨٧ .

طريف المكياج «يشلخون» أنفسهم ويصبغون وجوههم والقيام بمثل هذا النور قام به شباب في الأبيض قبل قيام الثورة المهدية فظن بعض الناس أنه يسيء للإسلام لأن التمثيلة كانت بها مشاهد عقد قرآن ، فظنوه زواج رجل لرجل.

ويبدو أن الجمهور لم يكن قد تربى علي مراعاة الآداب المسرحية ، من ذلك أن الجمهور كان يستعذب الغناء كما حدث في رواية «خراب سوبا» فقد كان المشاهدون وحتى الشيوخ يطلبون الاعادة ، ويقولون لشباب حسن الصوت «الله الله يالولو»<sup>(١)</sup>

وفي احدي عروض رواية «الملك نمر» طلب أحد المشاهدين إعادة بيت من الشعر فاستجابوا له<sup>(٢)</sup>

وكتب حيدر موسي الي مجلة الرسالة يعرف أشقائه من أدباء مصر بالحركة الأدبية في السودان «الشباب السوداني متطلع دائماً الي العلياء وخصص جهده ووقته - في الوقت الحاضر للإلمام بمختلف الآداب . والفنون . وللموظفين - وهم خيرة المتعلمين - النصيب الأوفر في هذا الميدان رغم ضيق وقتهم وقلة مالهم . فتري النوادي بها جمعيات أدبية تقوم بتنظيم المحاضرات والمناظرات جهد المستطاع - حتي النوادي الرياضية لم تهمل الأدب بجانب إشتغالها بترقية الروح الرياضية ، كذلك تعني النوادي المختلفة بإقامة حفلات تمثيلية تعرض فيها الروايات

١ - انظر - حضارة السودان ٤ نوفمبر ١٩٢٥م التعليق علي رواية خراب سوبا .

٢ - الحضارة ٢١ / ١ / ١٩٢٥م - تعليق علي رواية (الملك نمر)

العربية والمصرية . ويسرني كل السرور أن القصة السودانية صان لها شأن في عالم التمثيل السوداني (١)

ولا أكون مبالغاً إذا قلت أنها اكتسحت أو كادت تكسح الروايات غير الوطنية وكل هذه الروايات البلدية موضوعة بالشعر الشعبي المسمي بالدوبيت . وهو كالغناء يقع في نفوس السامعين موقعاً حسناً وبتنغمه حلوة تثير الحماسة . ودعني أعرفك بأسماء هذه الروايات فمنها «مصرع تاجوج والمعلق» وهي معروفة لدي المصريين وقد نشر ملخصها في بعض المجلات المصرية ، ثم رواية «خراب سوبا» ورواية «فتاة المستقبل» ورواية «البتول» وغيرها ، وقد أعيد تمثيل هذه الروايات كثيراً مما يعد مظهراً للاقبال العظيم الذي قوبلت به من الجمهور المتعطش لكل ما هو سوداني أصيل ، وهذا شعور طيب بالقومية يسرني أن أنه به ، في هذا المقام ، ليعرف أبناء العروبة أى شعب نبيل في أعلي الوادي ، وإن كنا نخجل أن نشيد بأعمالنا وهذه عادتنا لا سبيل إلي الخلاص منها » (٢)

---

١ - كانوا لايفرقون بين القصة والرواية المسرحية .

٢ - الرسالة - ٣٠ مارس ١٩٣٦ - الحركة الفكرية في السودان - بقلم حيدر موسي - ص ٥٠٤ . لا أدري لماذا كان كثير من الكتاب يكتبون عن هذه الروايات ويشجعونها وينقدونها . بينما تلقي اهمالاً من أكبر النقاد من دعاة مدرسة الفجر وهو الاستاذ محمد أحمد محبوب . لقد كان يدعو للأدب القومي وبحماس . لماذا لم يقيم هذه الاعمال القومية . هل كان يتعالي علي مؤلفيها . وهم من نوبي التعليم المتوسط ؟ لا ادري ؟ انظر المحجوب الحركة الفكرية ص ٤٩ - ٥٠ كيف يمكن لحكومة استعمارية أن تساعد وترعي أدباء مسرحيين قوميين ومن أين تأتيهم المكاثة المرموقة وهم يحاربون الحكومة الاستعمارية وفي يدها مقاليد الأمور .

تكونت فرق التمثيل القومية وألفت عدة روايات قومية واقيت رواجاً في شتّى أنحاء البلاد وطافت الفرق الأندية المختلفة محاولة بث الشعور القومي من خلال الروايات الوطنية . ورغم هذا فقد كانت تواجه كثيراً من الصعوبات لما كانت تلقاه من هجوم علي صفحات الصحف سواء أكان الهجوم من رجال الدين أو من الأديباء الذين يعترضون علي النواحي الفنية في هذه الروايات ، وقد يكون في تقديم شيء من الايلام لمؤلف المسرحية .

ومن أمثلة النقد الذي كان يوجهه المواطنون الي مثل هذه الروايات مايلي :«وصلت مدينة كسلا الفرقة التمثيلية التي تمثل رواية «البتول» باللغة الوطنية والتي إختارها النادي من بين الفرق ، وفضل روايتها علي بقية الروايات ... الذي يعني بل ويهمني كثيراً وأنا من المسلمين الا أدع الأمور التي تمس الدين الحنيف تمر سراعاً ، بدون أن أعيرها الاهمية اللائقة بكينونتتها ... وما من مسلم في الأرض يرضي بالحط من قدر الصلاة ، مهما كانت ظروف الأحوال ... وعندني هي أرفع من أن تدخل في الروايات ...» ويواصل كاتب المقال هجومه لا علي الراوية فقط ولكن علي جميع ما قدم في البرنامج .

فيقول :« ومن البرنامج في الليلة التمثيلية قدم أحد «المتلوجست» أحد الصعاليك ، ليؤلف بوراً هزلياً يمثله بنفسه ، وقد كان ، كان ماذا ؟ كان فضيحة كبرى وكان الاستياء يدب في صفوف المتفرجين لبرود

## الفصل ومساسه بالدين (١)

والموقف الذي أثار صاحب المقال هو أن «المنلوچست» كان يصور زيف أهل المدينة وسذاجة أهل القرى - فيصور أحد أبناء المدينة وقد استضاف اعرابياً وعندما ينام الأعرابي بعد الصلاة يدبر الرجل المدني مكيدة لسرقته ، ويبدأ يتحسس متاع الأعرابي فيستيقظ الأعرابي عندما يسمع حركة الرجل ، وهو يقلب متاعه ، ويمجرد أن ينتبه الرجل ، بأن الأعرابي سيكشفه ، يستغرف في الصلاة والدعاء ، ويتخذ وضعا ، وكأن صلاته وسجوده وركوعه هي التي كانت تحدث هذه الحركة .

ويكتب آخر عن نفس الرواية مقالة أخرى بعنوان «واجب الرقابة علي الروايات» ويرى أن هذا الواجب «مكلفة به الحكومة لأنه لا يليق بمركزها وهي التي تسيطر علي زمام الحكم بالبلاد ، أن تترك الجبل علي الغارب لهؤلاء التجار من النوع الجديد ، تجار الروايات» .

ويضيف « كل مانبتغيه أن تكلف مصلحة المعارف بتكوين لجنة لتقيد الروايات قبل المصادقة عليها وعلي تمثيلها ، وبذلك تكون قد أسدت لهذا الشعب معروفا كبيرا لأن القصد من الروايات دروس أدبية محسوسة لا اختلاس أموال الشعب باسم الروايات » (٢)

ولكن صاحب الراويه الأستاذ أحمد الأصم يبادر الي الرد علي

١ - جريدة النيل - ١٢ / ١ / ١٩٢٦ م - تعليق بقلم أحمد

٢ - ٢٠ / ١ / ٣٦ - تعليق بقلم منصور عطا الله .

ناقديه ويدافع عن روايته .

ويهاجم أولئك الذين لا يهتمون بالأدب ولا يهتمون بشئ إلا الغناء والطرب، فقد كانت لدي الفرقة عدة مسرحيات تريد عرضها، إلا أن أعضاء النادي اتفقوا مع علي عرض رواية «البتول» وكفاها أنها مثلت فوق الاثنتي عشرة مرة بأمدردمان والخرطوم بحري وواد مدني والنويم وعطبره ونالت كل استحسان واعجاب نشر في الجرائد<sup>(١)</sup>

---

١ - النيل ١٤ / ١ / ٢٦ - رد علي أحمد - بقلم أحمد الأحم.

## الصحافة الادبية وتطور الكتابة النثرية في السودان

١٨٩٨-١٩٤٥ م

المجال الوحيد الذي يمكن أن نتتبع فيه تطور الكتابة الادبية في السودان في هذه المرحلة سنة ١٨٩٨ إلى سنة ١٩٤٥م، هو الصحافة وذلك لصعوبة النشر في غير الصحافة ، كما أن معظم انتاج الأدباء وان صدر في كتب ، وعلي قلتها ، فانه في الغالب يكون قد سبق ان نشر في صحيفة من الصحف ، كله أو جزء منه .

أسلوب الصحافة أول ماظهر في السودان ظهوراً له تأثير الفعلي علي الحركة الأدبية ، كان في بداية القرن العشرين، وقد كان ظهور هذا الأسلوب متأثراً بالصحافة المصرية أولاً واخيراً ، لأن الذين أشرفوا علي هذه الصحف كانوا من المصريين أو الشاميين أو السودانيين الذين عاشوا في مصر وتأثروا باساليب النثر العربي الحديث في أثناء اقامتهم بها .

يذهب الدكتور عبد الله الطيب الي أن مناشير المهدي وانذراته كانت تمهيدا لأسلوب الصحافة الذي جاء بعدها في عصرنا الحديث (١) . وأنا

---

١ - الدكتور عبد الله الطيب - اتجاهات النثر العربي في السودان - معهد البحوث والدراسات العربية - ١٩٥٨ - ص ٢٣ .

أستبعد أن يكون لمناشير المهدي وانذاراته أى تأثير علي الأسلوب  
لصحفي في السودان وما تبع ذلك من تطور في الحركة الأدبية .  
فمنشورات المهدي لم تؤثر لا من حيث الشكل ولا من حيث المضمون  
في الصحافة السودانية، فبعد الفتح سنة ١٨٩٨م جاءت مؤثرات أقوى  
منها بكثير واجتاحتها شكلاً ومضموناً بعد أن مهد لها حكم التعايشي  
هذا الاجتياح ، فالتعايشي كما هو تتطور لم تتطور في عهده الثقافة  
السودانية إن لم تكن قد جمدت وان لم يكن الجهل قد ساد أركان دولته ،  
فقد كان السيف والحبس يسبقان الكلمة دائماً ، وإذا نطق السيف  
وكممت الأفواه خرس صوت ولسان الأدياء ، وهذا ما حدث بالفعل (١)

فالثورة المهديّة من الناحية الفكرية هزمت قبل الفتح ، وبعد الفتح  
هزمت فكرياً وسياسياً بل ان المهديّة التي عرفت بعد هذه المرحلة -  
مرحلة الفتح - كانت مخالفة تماماً للمهديّة التي دعا لها المهدي وبقيت  
منشورات المهدي وانذاراته واوراده بعيداً في القري والأرياف أو في  
قلوب وعقول الأمراء السجّاء (٢)

أول صحيفة يمكن أن نعتبرها بداية لتاريخ الصحافة السودانية هي  
«جريدة السودان» صدر أول عدد منها في شهر يوليو سنة ١٨٩٨م وقد

---

١ - أنظر - عابدين - ١٣٠ ، ١٣١ .

٢ - أنظر - هيكل - ٩١ - ٩٢ وانظر ص ٤ من الرسالة .

رأس تحريرها محمود القباني ، كما أن صدورها لم يكن في السودان ومحررها كان من السودانيين المولودين ، ولكنه كان متحمساً وفخوراً بسودانيته المواليه للسياسة الانجليزية ، فقد صدرت الصحيفة أساساً لتدافع عن السياسة الانجليزية في السودان وتهاجم السياسة المصرية والمصريين وتكشف عن مظالمهم في أيام حكم الأتراك <sup>(١)</sup> والقباني كان يكتب قبل هذا التاريخ سلسلة مقالات في جريدة الأهرام عن الوحدة بين مصر والسودان ويعتبرهما بلداً واحداً ويذكر التقدم الذي أحرزه السودان أثناء حكم الأتراك له ، ثم يؤرخ لجانب من الثورة المهدية ، وقد جمع هذه المقالات وأصدرها في كتاب «السودان المصري والانجليزي» وهو في هذا الكتاب يدافع دفاعاً حاراً عن السياسة المصرية في السودان» وفي كتابات اهتمامات بالجانب الشعبي كعادات أهل السودان وقبائلهم وقنونهم <sup>(٢)</sup>

ويذكر القباني أنه اختلط بالمصريين واندمج في حياتهم وأنه التقى بزعمائهم وكتابهم في ذلك الوقت سنة ١٨٩٤ . ومنهم محمد بك الصدر المحامي ، وعلي يوسف صاحب المؤيد ومحمد عبده . ويقول عنه أنه عندما دخل عليه أول مره قبل يده فضحك الحاضرون بونشأت بينهما مودة وتعارف «وقد حضرت في هذه الدار تلاوة الامام رسالته في

١ - وانظر جريدة السودان ، ٢٧ سبتمبر ١٩٠٢. الافتتاحية.

٢ - أنظر - عابدين - القصة الشعبية في السودان - ص ٤ .

التوحيد وتفسيره لجزء عم ، وقلما لا الاقي سعد باشا زغلول في  
الاسبوع مرتين عنده ، بخلاف زيارتي له في داره (١) .

ويذكر أنه حضر زواج سعد زغلول من صفية مصطفى فهمي -  
وكانت التخت بقيادة عبده الحامولي وسهر معهم وضحك معهم وكان  
معهم عبد القادر حلمي حكمدار السودان السابق وآخرون وتحدث مع  
الجماعة عن الحياة في السودان، «وقارنوا بين «الدلوكة والتخت وطلبوا  
منه الذهاب للتخت وأن يهز «بيشر» كما قارنوا بين «الكسرة» السودانية  
والمأكولات الشامية والمصرية والتركية (٢)

هذا ما كتبه القباني في سنة ١٩٣٥ ، وهو يدلنا علي أن الرجل كان  
متقبلاً في آرائه وافكاره فهو تارة مع الانجليز ويدافع عنهم بحماس  
وتارة مع المصريين ويدافع بحماس ، وقد كانت صحيفته مجنّدة تماماً  
لخدمة الأهداف الاستعمارية والنيل من المصريين وصحافتهم الوطنية  
وزعماء الحزب الوطني، فقد كان دائماً يركز هجومه عليهم وعلي الخلافة  
العثمانية وان كان يحاول انكار أن يكون عميلاً انجليزياً (٣)

---

١ - ٢ - حضارة السودان ٢٥ ، ٧ ، ٢٥ - زكريات الطفولة (١٤) بقلم محمود  
القباني ، (التبشير) هو ان يهزه الرجل ويلوح بيده او بعضا او بسوط فوق المغني  
والمغنيات او او الراقصات في الافراح ليل الفرحة والمشاركة . (الكسرة) خبز اهل  
السودان الشعبي .

٢ - جريدة السودان - ٢٧ - سبتمبر ١٩٠٣ - السودان للسودانيين لا للشيوخ شاكر  
والمصريين - بقلم محمود القباني .

وعلي يد القباني بدأ شعار « السودان للسودانيين » والقباني يقول في كتاباته أن هذا الشعار ليس جديدا فقد قال به غريون باشا من قبل ، وفي جريدته يركز علي أن السودانين يختلفون تماماً عن المصريين في عاداتهم وتقاليدهم .<sup>(١)</sup>

وفي كتابات القباني نجده - وان كان تفكيره رجعياً استعمارياً - أول من وسع موضوعات النثر السوداني وجعل النثر يتناول مشكلات الحياة وما يهم الشعب ، وهو في ذلك متأثر بما أحدثته الثورة الفكرية التي قادها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وتلامذتهما في مصر - فكتابات القباني نجد فيها الترتيب والتبويب والاهتمام بالمعني<sup>(٢)</sup> والعدول عن السجع وضروب النثر التقليدي في السودان كالاستشهاد بالأحاديث النبوية ، والآيات القرآنية وأحاديث الصحابة .

لقد كان اسلوبه سهلاً سريعاً يقصد به الاثارة السياسية المباشرة أكثر من قصده الي التروي واختيار الكلمات الدقيقة وأسلوبه جماهيري

---

١ - المرجع السابق - ٢٤ مايو ١٩٠٢ - السودان السوداني . ملحوظة : يرى الاستاذ حسن نجيله أن شعار السودان للسودانيين اول من طرحه هو الصحفي السوداني حسين شريف في سنة ١٩٢٠ علي صفحات جريدة الحضارة ، وهذا خطأ تاريخي يجب التنبيه اليه .

٢ - أنظر الاستاذ عمر الدسوقي . في الادب الحديث ج دار الفكر العربي ١٩٦١ ص ٢٤٥ - وأنظر عابدين ص ٢٩٦ .

يمكن أن يجتذب أبسط القراء. (١) وقد عمد بمثل أسلوبه هذا ، الي ايراد قصص واقعيه « كما يقول هو » عن مظالم المصريين في السودان وفي هذه القصص يعتمد علي روايتها كما هي، حتي ما يدور فيها من حوار ، ويجعل لها حبكة مشوقة ثم يربطها بما يجري من أحداث في السودان ، وبهذا يحرص القباني علي أن تأخذ القصة أبعادها في جو الأحداث الذي دارت فيه فتكون أكثر واقعية وأبعد غاية في خدمة الاغراض والأهداف التي كان يرمي اليها من وراء كتاباته (٢) .

والصحيفة أساساً والي سنة ١٩٠٢م وهو ما تيسر لي من أعدادها كانت تطبع في مصر -لأنه لا مطابع في السودان أو لارتفاع سعر الطبع - وتوزع في السودان .

ونجد كاتبها وهو في وهدة تناقضات المتكررة يمدح صحيفة المؤيد ، ولكنه سرعان ما ينقلب عليها ويطالب الحكومة بأن تمنعها من دخول السودان ، لأن ما يجي فيها يحرص المصريين في السودان علي عدم قراءة «جريدة السودان» كما أن المصريين بطبعهم يحرصون السودانيين علي عدم قراءة جريدة السودان (٣)

وصحيفة المؤيد صارت تصل الي السودان باستمرار بعد أن أخذ

---

١ - عمر الدسوقي ص ٢٤٧

٢ - أنظر جريدة السودان - ١٧ مايو ١٩٠٢ ، ١٠ سبتمبر ١٩٠٢ .

٣ - نفس المرجع ١٠ يونيه ١٩٠٢م .

محررها اذنا بذلك وذلك منذ سنة ١٩٠٦ ، فقد عرفها السودانيون المستنديون منذ ذلك التاريخ وعرفوا ما يكتب فيها من كتابات أدبية أو ترجمات كترجمة البؤساء لحافظ ابراهيم (١).

كما قرأ السودانيون مجلة البيان وما كان ينشر فيها من موضوعات أدبية وفلسفية واخلاقية واجتماعية وتاريخية وفكاهية وروائية وما فيها من آراء في التربية (٢)

في سنة ١٩٠٤ نقلت «جريدة السودان» الي الخرطوم وكان محرروها كما يقول الدكتور عبد الله الطيب من المهاجرة المستوطنين من مصر . ويذكر من آثارها . مما بأيدينا الآن كتيب صغير يدعي «حكاية الملك ذابخت» وكان ينشر فيها كحلقات متتابعة ، ثم طبعته مطبعتها عام ١٩٠٤ فكان أول كتاب عربي طبع في الخرطوم في هذا القرن ، وهي قصة معربة عن الهندستانية ادعي تعريبها مدير المخابرات حينئذ البكباشي امري . واستبعد أن يكون تولى من ذلك شيئاً سوى التفسير الأول لمحرريه الذين ذكرنا ، والراجع انهم هم الذين تولوا الصياغة لخلو الكتاب في جلمته من أخطاء الأعاجم. (٣)

وأول صحيفة أدبية ظهرت في السودان هي صحيفة «رائد السودان

---

١ - المؤيد - ٢٦ أغسطس ١٩٠٢ - الافتتاحية .

٢ - رائد السودان - ٢٨ أغسطس ١٩١٥ - ٢٤ / ٢ / ١٩١٧م اعلانات

٣ - الدكتور عبد الله الطيب - ص ٣٢ .

«١٩١٤-١٩١٧م»<sup>(١)</sup> . وقد قامت الصحيفة نتيجة لجهود بعض ابناء السودان وشجعهم علي قيامها وشارك في تحريرها الكثير من الموظفين والاستاذة المصريين والسوريين ، وهي جريدة علمية أدبية إقتصادية أخباريه أسبوعية ، وقد جاءت نشأتها في ظروف الحرب العالمية لتنتقل أخبارها وتعكس السياسة الانجليزية في السودان ، مدافعة عنها ، وناقلة خطب ومناشير الولاها ، ولحكومة السودان ، ومن قبل الشيوخ الدينين ورجال القبائل ورؤسائها وزعماء الطوائف الصوفية . والي جانب هذا كانت تنشر بعض الاشعار للشعراء العرب فكانت تنشر لحافظ بعض قصائده كما أن فؤاد الخطيب نشر كثيراً من قصائده علي صفحاتها ، بأبناء السودان من الناشئة خريجي كلية غردون وجدت أقلامهم ومقالاتهم الادبية وقصائدهم الطريق الي صفحاتها .

هذا ويمكن تصنيف الموضوعات التي تناولتها الرائد فيما يلي :

١ - كتابات سياسية ، وهذه عبارة عن نقل أخبار سياسية نقلا عادياً وليس فيه عمل فني ، كما أن هذ الجانب يدخل فيه خطب ومنشورات الولاء التي كان يرفعها الأعبان من تجار وقضاة ورجال دين الي الحكومة وهي خطب مكررة تسيير علي نمط واحد ، وقد اهتمت الرائد بهذه الخطب والمنشورات وجمعتها واصدرتها في كتاب اسمته

---

١ - كانت ملكاً لأحد التجار اليونانيين . انظر نجيلة . ص ٧.

## «سفر الولاء»

ومما كتبه محمود القباني وما كان ينشر من خطب الولاء ومما كان يقرأ في الصحف المصريه تكونت شخصية أول صحفي سوداني<sup>(١)</sup> وهو حسين شريف الذي خطا بالأسلوب السياسي الموالي للانجليز خطوات بعيدة من البرهان والتسلسل والإنسياب الفكري ، كما أن خطب الولاء كانت مبعثاً لخطب أخري ، هي المنشورات التي كان يصدرها الشبان الوطنيون الذين مهدوا لثورة سنة ١٩٢٤ وقادتها ، وهؤلاء قل ما يلجئون لمنطق الإثارة أو التعصب كما كان يفعل حسين شريف وبالأدلة التاريخية والمعاصرة كانوا يبرهنون علي وجهات نظرهم في أسلوب مجدد ومطالب محددة يعرضونها علي الأمة السودانية سراً ، أو علانية . وإلي هذه تضاف الكتابات الاصلاحية والاجتماعية .

٢ - كتابات تتعلق بالتراث العربي والاسلامي ، كالتعليقات التي تقدم عن دراسات المستشرقين للتراث الاسلامي ، كدراسات جوستاف لبيون ، وقد تكون هذه الدراسات تقديماً لشخصية فلسفية كالدراسة التي قدمت عن الفارابي<sup>(٢)</sup> وقد تكون دراسات الادب العربي كالدراسة التي قدمها

---

١ - حسن نجيلة . ص ١٩ . المقصود هنا بأول صحفي سواني أي انه لم يكن من

المولين . لانه كان هناك صحفيون سودانيون من المولدين .

٢ - انظر الرائد - ٢١ اكتوبر ١٩١٦ .

الاستاذ الكبير محمد بك فريد وجدي ونقلت عنه عن «السلف الصالح»<sup>(١)</sup> وهي مجموعة مقالات عن الشعراء الجاهليين والاسلاميين وتحتوي علي مجموعة من القصص والطرائف العربية عن الخلفاء والعلماء في العصور الاسلامية المختلفة. وقد تكون كتابات قومية حادة، ككتابات فؤاد الخطيب الذي يكاد يرفض الحضارة الحديثة ويتمني أن لو رجع العرب الي سيرتهم الاولي وتاريخ أجدادهم في بادية جزيرة العرب، حتي انه أحياناً يقف موقفاً جامداً ويتمسك بالشكل التقليدي في النثر العربي، فنجده يعتمد في كتابته علي السجع « لا جرم أن اللغة العربية أجزل اللغات السامية، وأوسعها «كلمة مطموسة» وأحكامها استعمالات لا يذهب مر العيش بسلامتها ولا يعبت كر الغداة بطلاوتها، ولقد طاحت بول، وبادت ملل ، فاندثرت لغاتها وعفت آياتها ، وتلك اللغة تدور مع الأحقاب في غلائل الآداب، وغلواء الشباب، لا يرهقها هرم ولا يخلقها قدم. وكأنها وهي ابنة القرون الخالية والأمم الماضية ، قد نشأت في الحاضر أو الأمس الدابر، فجاءت دفعة واحدة مستوفية أقسام جمالها وصحة أبنية أسمائها وأفعالها، تجول بها أسلات الألسنة وأطراف اليراع، في صدور المحافل، ويطون الرقاع فتنتظم فراندها، وتفعل شواردها فلا تشذ نادرة ولا تند بادرة<sup>(٢)</sup> يضاف الي ذلك ما كان ينشر من أشعار تقليدية

١ - المرجع السابق ١٧ اكتوبر ١٩١٦.

٢ - رائد السودان - ٨،٢١، ١٩١٥ - لمحة في اللغة العربية والادب - فؤاد الخطيب

لشعراء عرب، وشعراء من ناشئة السودان، وهذا هو الجانب التقليدي  
مما كان يكتب في جريدة الرائد .

وهذه الكتابات بلا شك قد مهدت الطريق أمام شعراء السودان  
التقليديين .

٣ - النوع الثالث من الموضوعات تتعلق غالباً بالنواحي الذاتية  
لبعض الكتاب وموقفهم من الحضارة نتيجة الزلزلة والتصدع الاجتماعي  
وعدم مقدرتهم علي الحفاظ علي القديم بروحه الطيب أو مجارة الحديث  
ومافيه من تفسخ اخلاقي واجتماعي .

أ - وفي هذا المجال نجد كتابات تشبه المقامات كثيراً ، لا في  
شكلها التقليدي ولكن في شكلها ومضمونها التجديدي ، الذي أضافه  
اليها المولحي في «حديث عيسى بن هاشم حواظ ابراهيم» لياالي  
سطيح» والكاتبان وما كتبنا معروف لدي السودانيين ، إما عن طريق  
الصلة الثقافية بالاطلاع علي الصحافة المصرية ، وإما عن طريق أبناء  
مصر الوافدين علي السودان لملء الوظائف فقد كان منهم من يكتب  
باستمرار علي صفحات «الرائد» في شتي المجالات .

والدارس لهذه الاعمال لا يستطيع الحكم علي ما إذا كان كتابها  
سودانيين أم مصريين ، اللهم الا أن يستنتج ذلك من نص المكتوب ،  
وهذه الاعمال علي قلتها قد لا تحمل أحياناً الاسم الكامل لصاحبها ، أو  
تجعله شخصاً مبهماً كأن يوقع بقلم مشاهد ، أو أديب وغيرها من

التوقيعات الموهمة .

فهذا كاتب يسمى - ف . م . من عطيره <sup>(١)</sup> . يكتب ما يشبه «الليلة الخامسة» في كتاب حافظ إبراهيم ليالي سطيح - فالراوي يذهب الي فتية كالدراري بينهم حاكي . واذا بها ليلة طرب وهو في أثناء السرد يزواج بينه وبين الشعر العربي التقليدي . وكان يحب الاستماع الي الموشحات الاندلسية ولكن المحتفلين في الملهي أحضروا دفأً وعوداً وتصدر أثنان منهم المجلس فكانوا كالضفادع وغنوا أغاني ملحنة بالفاظ غير مطربة ، مزعجة بل مخجلة متلفة للاخلاق .

ويبدو أن الكاتب مصري أو متأثر بالحياة المصرية بالرغم من انه يقرن هذه الأغاني بالدلوكة ، ولكنه في نفس الوقت يذكر اسماء فنائين مصريين وأغاني مصريه في ذلك الوقت ، ويظهر تأثيره بالمولحي وحافظ في موقفه النهائي من هؤلاء الجماعة فهزوات إلي منزلي وأنا ألعن العصر والعصريين <sup>(٢)</sup>

وفي مقطوعة أخرى باسم «الحياة» لنفس الكاتب يزواج بين المقالة والقصة ويأتي بشخصيات نموذجية ويتتبع حياتها وما تؤدي إليه أخلاق هذه الشخصيات من نتائج فإن كان خيراً انتهت حياته إلي خير وإن كان

---

١ - أنظر راشد السودان - ٢٩ يناير ١٩١٦ . «عود» بقلم . م . ف . طبره .

٢ - أنظر - الدكتور شكري عياد - القصة القصيرة في مصر - معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ . ص ٨٣ ، ٧٦ .

شريراً كانت عاقبته وخيمة (١) .

وقد تأثر به كاتب يسمي «اسماعيل» أو لعلهما تلقيا مؤثراً واحداً  
كتب مقطوعة بعنوان «حياة مقامر» وفي المقطوعة شئ من القصة وشيء  
من المقالة الاصلاحية (٢)

ويصارع الكاتب القاريء بأنه يصور حياة هذه الشخصية لتكون  
عظة وعبرة لغيره من الناس . فهذا الشاب كان شاباً مستقيماً ولكنه  
عاشر اخوان السوء ففسدت أخلاقه ، شرب الخمر ولعب الميسر وتزوج  
ليستقيم ولم يستطع ، فطلق زوجته وماتت هي حزناً عليه ، وجلس هو  
يرسل لصديقه خطاباً لأنه أقلس من أول يوم في الشهر ولا ينتظر شيئاً  
إلا الموت ، وبعد نهاية القصة يوجه الكاتب نصائحه للقارئ بان يتجنب  
هذه المهالك (٣)

وأول كاتب سوداني نجد في أعماله تأثيراً واضحاً بالمويلحي ويحافظ  
هو « ارباب محمد (٤) هذا ويمكن اعتباره أول من تناول موضوعاً يشبه

---

١ - رائد السودان ٨ - يناير ١٩١٦م.

٢ - نفس المرجع . نفس العدد .

٣ - كان المسرح يسير في نفس الاتجاه .

٤ - لا ادري هل هو ارباب محمد عثمان الذي ذكره حسن نجيلة في كتابه ملامح  
من المجتمع السوداني ص (٩٤) ام ان ارباب محمد هذا شخص آخر ، فبينما يوقع  
هذا بأنه كاتب المحكمة المدنية نجد ان ارباب الذي ذكره نجيلة كان موثقاً في السكة  
الحديد .

في كثير من عناصره «القصة القصيرة»

يقول في إحدى كتاباته بجريدة الرائد - بعنوان «مذكراتي» (١).

« من عادتي أن أنون جميع الحوادث التي تقع لي في حياتي والتي

تقع لغيري ويكون لي علاقة بها أو بمن وقعت عليهم »

وقد عنيت بحفظ تلك المذكرات في غلافين كبيرين أولهما الغلاف

الابيض وهو يحتوي علي جميع المذكرات السارة وثانيها الغلاف الاسود

وفيه مجموعة المذكرات المحزنة وقد رأيت ان انشر تلك المذكرات في

الرائد كلما سنحت الفرص وارجو أن يجد القارئ فيها تفكها وعبرة .

ويقدم لنا من الغلاف الأسود مقطوعه ومقامة ، نجد فيها تشابهاً

واقتباساً واضحاً من «الليلة الخامسة» لحافظ في ليالي سطوح ، أو

«ابناء الكبراء» في حديث عيسى بن هاشم للمولحي.

كما أن هذه المقطوعة تقترب من القصة بما فيها من تركيز ونقل

للحوار كما هو في الحياة اليومية . بالاعتماد علي السرد والمقطوعه

اسمها :

«قاعة الجحيم» .. يصدرها بقوله - ارجو القراء معذرة اذا حذفتم

أسماء الأشخاص أو استعرت أسماء وهمية فان غرضي الموعظة لا

التشهير .

---

١ - أنظر - رائد السودان - ١٣ مايو ١٩١٦ .

«في النصف الأول من شهر يناير ١٩١٤م قابلت وأثنين من أصدقائي في

الطريف ، فسألتها أين يذهبان :

فقالا : إلي منزل قريب..»

- لعلكما تريدان زيارة رأس السنة .

فضحكا وقالوا ألا تعلم أن هذه ليلة رأس السنة .

- اعلم أنها ليلة رأس السنة الشرقية ولكن أى علاقة بين سؤالي

وجوابكما .

- إننا ذاهبان إلي محل الخواجا .. لكي «نشوف بختنا».

فقلت كذب المنجمون ولو صدقوا وهل تعتقدون أن الخواجة يستطيع

معرفة المستقبل .

فضحكا مرة ثانية وقالوا إننا نريد أن نجرب بختنا في اللعب فعلمت

أنهما سنيقامران . حاولت عبثاً أن أثنيهما عن عزمهما واخيراً تغلب علي

الفضول فذهبت معهما لرؤية ذلك المنظر الجديد .

وصلنا الي محل الخواجة فقرع أحدهما الباب ففتحه الحارس الأول

وسمخ لي بالدخول لأنني مع اثنين من «الزيائن » فدخلنا من الباب

الخارجي وسرنا في دهليز طويل مظلم ثم انتئينا الي اليسار فوجدنا

الحارس الثاني فسمح لنا بالمرور ، وفي النهاية وصلنا «قاعة الجحيم »

وهي الغرفة التي يجتمع فيها المقامرون فرحب بي صاحب المحل لأنه

ظنني «زبوناً » جديداً وقدم الي سجاراً وقهوة ، وقد علمت أن أمثال هذه

الاشياء تقدم إلي المقامرین مجاناً نظیر جزء في المائة يقدمه صاحب  
المحل من كل رايح .

جلسنا في حلقة المقامرین ورأيت أحد اللاعبين رمي جنیهين علي  
الطاولة فرمي آخر مثلهما ثم أخذ كل منهما ورقتين من ورق اللعب فكان  
الرايح من ظهر أن مجموع ورقتيه أكبر من مجموع ورقتي الآخر .

أجلك بعد ذلك نظرة بين اللاعبين فوجدت «فلاناً أفندي الموظف  
«والخواجة ... والتاجر ... والاسطي وذلك الكهل وذلك الحدث فانقبضت  
نفسي لرؤية هذا الخليط وعجبت كيف أن فلاناً وغيرهم يرضون مجالسة  
هؤلاء المتشردين . ولكن هذا القمار يجمع الوضع والرفيع علي مائدة  
واحدة .

صار هذا يربح فيأخذ منه صاحب المحل جزءاً مما ربحه فعلمت أن  
الجميع خاسرون وأن الرايح هو صاحب المحل . أما الصديقان اللذان  
حضرأ معي كانا موفقين في تلك الليلة فربحا كثيراً ورأيت فلاناً أفندي  
الذي يتقاضى راتباً كبيراً يقول لأحدهما :

- اعطني ريالاً .

- بأردون أنا حالف بان لا أقرض أحدعلي الترابيزة

- طيب أعطني خمسة قروش ..

- لا يمكن .

- أنا خسرت ١٢ جنیهاً

•  
- مش شغلي

فنظر ذلك البائس الي آخر من الراحين وطلب منه خمسة قروش فقال له لا تنحسني فاني أتشائم من ذلك ، يالذلة النفس وهوانها رجل كان معه ١٢ جنيهاً خسرها في لحظة ثم يضمن عليه من أخذوا نقوده بخمسة قروش ورميت اليه ريالاً فشكرني ثم لعب وبعد نصف ساعة وجدت أمامه ٢٥ جنيهاً فنصحته بأن ينصرف فأبى وقال «ظهري تحسن الآن فلا أنصرف . ولم تمض نصف ساعة أخري حتي خسر كل نقوده ورجاني أن أقرضه ريالاً آخر فأبيت ثم انصرفت بعد ذلك .

أتدرون ماذا جري لذلك الرجل المشهور انه حكم عليه بالسجن بعد تلك الحادثة بشهرين لأنه اختلس أموالا كانت في عهده . أما الصديقان فأحدهما دخل السجن مغادراً عائلة ليس لها عائل سواه أما الآخر فقد تاب الي الله عن اللعب بعدما أفلس وركبته الديون .

اما الرسالة الثانية من المذكرات فقد كانت عبارة عن رسالة شكر اختارها من الغلاف الأبيض ، وكتبها بسجع مفرط في زينته ولعله كان يريد بها السخرية من عرائض ومنشورات الولاء التي كان يرسل بها السادة العظماء الي جريدة الرائد يجددون فيها ولاهم للحكومة . فهو يرسل هذه الرسالة الي «الرائد» بمناسبة زواجه وهو قد يكون زواجاً وهمياً كما نبهنا في مقدمته لمذكراته .

يقول فيها موجهاً الشكر لكل من هنأه بالقران الصالح . وسأختار

منها جزءاً .

بسم الله الرحمن الرحيم « الحمد لله الذي أحل النكاح ، وحرم السفاح ، والصلاة علي سيدنا محمد خير الفلاح أما بعد : فإني أحمد الله وأثني عليه بتمام مقصودنا وسرورنا اتباعاً لسنة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم وعملاً بقوله عليه أفضل الصلاة والسلام . تناكحوا تتاسلوا فإني مباهي «كذابكم يوم القيامة . والوصول لهذا السبب النفيس هو حماية جلالة ملك بريطانيا العظمي وسعادة الحاكم العام وجناب سكرتير قضائي حكومة السودان وعدالة رجال الدولة البريطانية الذين أمنونا في أوطاننا ، وأيدونا في سوداننا ، وأرشدوا أولادنا ونزهونا في نفوسنا ، وولوا علينا من لا تأخذه في الحق لومة لائم ، لعدلهم المشهور وكرمهم المبذول ، أدامهم الله علينا بالعز والسرور..... الخ .

ب - هناك بعض الكتابات نلمس فيها جانباً رومانسياً متشائماً<sup>(١)</sup> وذلك كالكتابات التي يكتبها الأديب «مشاهد» تحت عنوان مذكرات صديق<sup>(٢)</sup> وهذه الرومانسية تستمد أصولها من الآداب الغربية وكتابتها غالباً ما يكون مصرياً من موظفي حكومة السودان . وفي هذه الكتابات يسخط الكاتب علي الصداقات والاصدقاء وعلي زيف الناس في

---

١ - أنظر الرائد ٧ اكتوبر ١٩١٦م ، ١٤ اكتوبر ١٩١٦ ، مقالات ادبية عن فقدك الحياة ومجادلتها ، واسئلة مثمرة فلسفية تطرح عن معني الحياة والسعادة والشقاء ، بقلم سعفان ومحمد عبد السلام ابو شال..  
٢ - نفس المرجع ، ٢٧ نوفمبر ١٩١٥ .

حياتهم اليومية ، وهذه الكتابات عبارة عن مقالات وصفية لنوات الكتاب ينسبونها الي غيرهم . وتشبه الاخوانيات . وهذا كاتب في كتابته مثل هذه يدعو الي الحرية المطلقة وأن يترك كل انسان وشأنه في هذه الحياة - فهذا صديق له كان شاعراً يهوي الطرب والغناء والشعر فعنفه أصدقاءه وعابوه وقد كتب هذا الشاعر الي صديقه «مشاهد» ومن نكد الدنيا الا مندوحة لك عن الاختلاط بهم «الاصدقاء» لأنك بذلك تأمن شهرهم .. لي صاحب من هؤلاء مطبوع علي اللؤم ، كلما قابلته تذكرت السير بنيامين باكبيتر في رواية «مدرسة الافتراء» لشريدان . وكلما وقع نظره علي أتاني بحديث عن أحد معارفه ، ولكني لم أكن أدري أنه اذا تركني افتري علي لدي غيري حتي جاغني بعد لائما ، فعلمت منه أن السير باكبيتر قد حادثه .

لو كان وجه الانسان عدسة قوتوغرافية ترسم ماخفي في الصدر ولرأينا الناس كما هم لا كما يشاعن ان يظهروا . ونظرناهم كما يرسمهم «زولا» لا كما يصفهم «دوماس» وقرأنا اخلاقهم في عيونهم ، ولكن لحكمة اختلط الحابل بالنابل والخبيث بالطيب حتي أصبح المرء لا يفرق بينها الا بعد التجارب الغالية ...

ولكن جريدة الرائد تعلق علي خواطره هذه بقولها : ان الرائد لا توافق علي موقف صديقه لأنهم لا يؤمنون بالحرية الشخصية المطلقة فالأديان والدين الاسلامي كلها يجب أن تحترم .

ومثل هذا العمل عمل آخر بقلم «أديب مطلع» بعنوانه مذكرات صديق

وفي هذه المذكرات يترجم - الشاعر - كيتس - ويصور حياته وحبه ومالقي من عذاب في سبيل حبه واستعباده الحب . ثم يترجم له بعض الاشعار .

وهناك اتجاه آخر يتمثل في المقالات الوصفية التي كان يكتبها سعفان - له مناجاة رومانسية يناجي فيها الزمن والأيام ، وتشبه مناجاته مناجاة المنفلوطي للقمر<sup>(١)</sup> .

كما أن كتابته تدل علي أنه كان رومانسياً حالماً «تعودت أن أخرج من بيتي مبكراً علي شاطئ النهر تحت منبسق الشجر علي مسمع من حفيف الورق بين ثنايا نسيم الصبح البليل .

دخلت البستان في صبيحة يوم فملكك نفسي خمائله البديعة وأشجاره المتفرعة «وأغصانه المخضرة وأزهاره المفتحة ، والنخل باسقات لهن طلع نضيد - رحت جيئة وذهابا أقلب الطرف في بدائع هذه الطبيعة وقد أفاضت علي بني الانسان من كل شيء، ما ان تأمل فيه الملحدون لآمنوا أن لا اله الا هو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل مختلفا أكله والزمان متشابه وغير متشابه<sup>(٢)</sup>

في جميع هذه الصور والمقالات نجد أن موقف الأدباء كان موقفاً محافظاً علي تقاليد الاسلام وقيمه يخشون عليها الفساد - وقد

---

١ - رائد السودان ، ١٩ يونيو ١٩١٦ .

٢ - نفس المرجع ١٨ مارس ١٩١٦ .

يستخدمون صوراً أدبية من القرآن وقد ينتزعونها من أحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم .

إذا كانت كثيراً من البلدان العربية قد مرت بطور تعريب الآداب الغربية ، أو أخذ نماذج من الخارج وترجمتها ثم نسبتها من الترجمين الي أنفسهم بعد التحوير والتعديل ، وخاصة في مجال الرواية والقصة القصيرة ، فإن هذا لم يحدث في السودان . وقد وفدت الآداب الأوربية علي السودان بعد أن عرفت هذه الظاهرة واستطاع النقاد العرب والأدباء أن يكتشفوا المنتحلين لآداب غيرهم وبذلك سد الطريق أمام السودانيين فقد وصلوا في مؤخرة الركب . ولعل هذا منع طليعة المتعلمين الذين تأثروا بالآداب الغربية الحديثة من أن يفعلوا هذا ، خاصة وأن جريدة الرائد قد كتبت عدة مقالات مسلسلة للأستاذ خليل الخوري عن السرقات الأدبية (١)

ولغة - هؤلاء الكتاب من الناشئين - الأجنبية محدودة وقد لاتساعدهم علي الترجمة كما لا توجد معاهد ثقافية يمكن للمتعلم أن ينمي ثقافته فيها . وقد لا تعود عليه الترجمة بمنفعة وقد لاتجد طريقها إلي المطبعة أو الصحف أبداً ولذلك كانت الترجمة قليلة جداً في السودان .

---

١ - أنظر رائد السودان - ٢٩ يناير ١٩١٦م ، «عود» بقلم . م . ف . طبره . ، ورائد السودان ، ١٩ يونيو ١٩١٦م ، و ٤ سبتمبر ١٩١٥م - سرقة المال وسرقة الأدب ، لخليل الخوري .

## حضارة السودان (١٩١٩-١٩٣٧) :

عندما نفي رئيس تحرير جريدة «رائد السودان» الاستاذ مصطفى قليلاطي أحد أبناء سوريا بعد ان نشر مقالا اصلاحيا يمس فيه الادارة الاستعمارية ، تولى تحريرها بعده السيد حسين شريف ، وبما أن الصحيفة كانت ملكا لأحد التجار اليونانيين في الخرطوم ، وكانت الوحيدة في البلاد ، وكانت البرجوازية السودانية في هذه المرحلة تبحث وتعمل بجد لامتلاك وسائلها ، فإن حسين شريف أخذ ينادي بقيام صحافة سودانية «فشعب بلا جريدة كقلب بلا لسان» <sup>(١)</sup> وبجهد البرجوازية التجارية الناشئة نشأة متعثرة في المدن انشأ «حضارة السودان» وفي مرحلة تحول البرجوازية شبه الاقطاعية الي موالاة السياسة الانجليزية تحولت حضارة السوان الي جريدة سياسية بعد أن كانت أدبية اجتماعية اخبارية ، هكذا آل أمرها لأن تكون «لسان السودانيين الموالين لسياسة الحكومة» <sup>(٢)</sup> أما الأدب فقد أصبحت تنشر ما يوافق هواها وهوي المشرفين عليها <sup>(٣)</sup> وهم من التقليديين فكراً وسياسة ، فلا هي خطت بالأدب في المرحلة التي وقفت فيها الرائد ، ولا

---

١ - حسن نجيلة ص ١٩ .

٢ - نجيلة ص ٢٢ ، سليمان كشه ص ١٦ .

٣ - نجيلة ص ٢٢ .

هي أصبحت لساناً حقيقياً يعبر عن روح الأمة السودانية فاستخدمتها  
الرجعية سلاحاً للتشهير بالمناضلين .

ظلت جريدة « حضارة السودان » الصحيفة الوحيدة في البلاد التي  
تنشر من القصائد ما يمدح به الانجليز مما جعل كثيراً من الأبناء  
والشعراء ينصرفون عن نشر أعمالهم علي صفحاتها . فقد كتب أحد  
محرريها يقول «الخطة التي سرنا عليها منذ المبدأ اننا خصصنا باباً  
للمقالات والقصائد كي نشجع الكتاب والشعراء وننشط الأبناء جميعاً  
سعيّاً لايجاد قوة نستعين بها علي خدمة البلاد في سائر نواحي الحياة  
». خذ مثلاً باب الأدب فإننا فتحناه ليكون حافلاً بالمباحث الادبية التي  
يجد فيها المتأدب درساً وفتناً والقارئ أدباً وطعماً ، فيطالع فيها دروساً  
قصيرة عن مشهوري الشعراء وشعرهم ومقارنات موجزة بين الادب  
الأموي والعباسي أو بين شعراء الدولتين أو بين شاعرين مشهورين .  
ويقرأ نظرات مختصرة عن الادب العصري ولحات من آراء أنصار  
الادب القديم والحديث ... ولكننا نأسف إذا قلنا أننا لم نتناول فيه حتي  
الآن غير قصائد المدح أو الخيال ورسائل الوصف أو الاغراض  
المبهمة ، علي انها غير منظومة ولا مكتوبة بلغة تسوغ نشرها من  
جهة الفن ...<sup>(١)</sup> ولعل أهم كتاب نثري ظهر في هذه المرحلة العشرينات  
«هو كتاب الأمين علي مدني «اعراس ومآتم» وقد نشرت أجزاء منه

---

١ - حضارة السودان - ٧، ٢٠ - ١٩٧٢م - الافتتاحية - كلمة لا بد منها لكتابنا  
وشعرائنا .

بجريدة حضارة السودان . كما أن له نقداً للشعراء التقليديين في هذا الكتاب عدل الناشرون عن نشره ، ولعلمهم هم كذلك كانوا يخشون القوي التي أزهت الأمين وعزلته عن مجال الحياة العامة وقتلته شاباً في ريعان الشباب، لقد كان مافعله المشرفون علي نشر هذا الكتاب خطأً منهجياً لا يغتفر وسبقاً أو بدءاً في تاريخ الأدب والنقد السوداني كان له أثره علي ما جاء بعد الأمين من النقاد فانسم تقدمهم بالعمومية والمجاملة. لقد رسم الأمين طريقاً كان أجدر بالذين جاؤا بعده أن يعمقوه وينشروه علي أوسع مدى ممكن، والأمين في تقدمهم هذا كما يقول «حسن نجيله» يتزسم طريق العقاد والمازني وشكري في تقدمهم لشوقي ، حتي أن الأمين يجعل من البنا أمير الشعراء كشوقي.(١)

والكتاب أصدره أصدقاء المؤلف وعلي رأسهم «سليمان كشه» الذي قدم الكتاب . وقد كتب «الأمين علي مدني» ترجمة غير كافية لشخصيته ، وكل ما نعرفه عنه أنه ولد فقيراً ولم يكمل دراسته واشتغل بالتدريس ، وهو لا يطمع في مال ولا ولد ، ونشعر من خلال كتاباته أنه كان يتحدي قوي أكبر منه وهو يبشر بدعوته التجديديه في الأدب السوداني (٢). فهو وان كان قد نقد شعراء التقليد من السودانيين فانه وضح الطريق أمام الناشئين لكي يستفيدوا من دعاة التجديد والمجددين في الأدب العربي:

---

١ - أنظر حسن نجيلة ص ٢٢٩ .

٢ - انظر - الأمين علي مدني - اعراس وماتم ص ٦ .

«حقاً أن شعرائنا وأدبائنا لم يصلوا بعد إلى درجة الإبتكار ، بل هم الآن في دور التقليد ، فإذا كان التقليد واجبا من واجبات الحياة ولازماً من لوازم النشوء والارتقاء<sup>(١)</sup> فيجب علينا أن نقلد رجال النهضة الأدبية العصرية وأن نقتفي أثر الأدب العصري، نحن في حاجة الي كتاب «مقلد» يقلد الاستاذ العقاد في فصوله ومطالعاته لا عبد الحميد الكاتب في حاجة الي ناقد يقلد الدكتور طه حسين في حديثه لا ابن رشيق، في حاجه الي أديب يقلد الأستاذ كامل كيلاني في نظراته ، هذا وان كان لا بد ان فنقلد هؤلاء وماشاكلهم من رجال النهضة الأدبية العصرية<sup>(٢)</sup>

رغم هذا وإيمانه الجزئي بالتقليد «العصري» فإنه لم ينج من تزمت المحافظين الذين كانوا يتهمونهم بالجنوب والهستيريا وهو يعترف بجنونه ويفاخر به، فقد كان هو العاقل الوحيد فيهم، وهو يبحث عن حرية فردية في أسلوب شاعري حالم، يشبه نفسه بالطائر الذي يطير بأجنحته الأثيرية «في الفضاء محلقاً في سماء الحرية مترنماً بأناشيد الوقت، منصرفاً أذني عن أغنية الماضي وعن ألحان المستقبل فأتنا شاعر

---

١ - نلاحظ ان المصطلحات العلمية الحديثة والفلسفية بدأت تغزو اساليب الادباء

السودانيين - النشوء والارتقاء - نظرية دارون .

٢ - الامين علي مدني ٧٢ .

## الساعة (١)

لا يكتفي بذلك ولكنه يثور علي الأشكال الأدبية التقليدية ثورة أودت به قبل أن يودي بها « أنا شاعر مجنون وهم الشعراء العقلاء لأنني أطيرو بأجنحة غير أجنحتهم وأخلق في فضاء غير فضائهم وأبتسم وهم يبكون وأبكي حيث هم يرقصون ويعزفون وألبس السواد في أعراسهم (٢) .  
وأقيم الماتم في أفراحهم» (٣) ورغم ما يظهر لنا من تشاؤمه وضيقه بالآخرين فإنه مغرم بالطبيعة وفيها يجد مسلاته «أنا شاعر مجنون أسكب نوب شعوري أمام ابتسامة الزهور ونضارة الورد وغناء الطيور

---

١ - نفس المرجع ص ٦ ، ٧ .

٢ - الأثر الثقافي الخارجي واضح هنا لان السودانيين يلبسون الأبيض في حدادهم وحرزتهم .

٣ - يقول الدكتور محمد غنيمي هلال . (الرومانتيكي غريب في عصره بشعوره واحساسه ولذا كان عصبي المزاج ذا نفس سريعة التأثر وعقل جسور وأوع بالجري وراء المتناقضات وبالتطرف في كل احواله وقلبه عامر بعواطف انسانيه عمادها الوطنية والحرية او الحب القوي الذي يملو بنفوس نويه او الطاغى الذي يستبد بضحاياه وهو في ذلك معتد بذاته يعتقد بذاته أنها مركز العالم حوله . «انظر الرومانتيكية مكتبة النهضة - مصر - ص ٢٧ . انظر - شكوي عياد - القصة القصيرة في مصر ص (٩٢) يقول - الحركة الرومانسية لا تطبيق الاشكال الجامدة سواء تمثلت هذه الاشكال في قوالب لغوية أم عروضية ام قواعد صارمة للأبوع الأدبية ) .

علي ضفاف الجداول فأغني صوتاً يطرب المجانين ويرقص المجانين  
ويستميل قلوب المجانين (١)

والكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات الأدبية والنقدية والخواطر  
الذاتية، ويظهر في هذه المقالات الاضطراب الفكري عند الأمين علي  
مدني ، فهو يدعو الي الحرية المطلقة ، وأحياناً يدعو الي المحافظة علي  
القيود الاجتماعية ، يرى أن الدنيا دارفناء وهو لا يعمل من أجلها شيئاً ،  
ولكنه يحبذ الجد والاجتهاد والعمل في سبيل الوطن، وفي مقالاته عن  
المرأة نراه محافظاً يقترب في محافظته من حدود التزمته ولكنه يحمل  
المجتمع مسؤولية ما يلحق بأفراده من مآسي الحياة .

وخواطر الأمين ومقالاته مفرقة في رومانسيته ، من خلالها تتبين  
لنا روح الأمين المرفهة الاحساس والتواقة الي حب شيء مجهول لم يجده  
، وحاول تحقيقه من خلال الثورة علي القهر الاستعماري والاجتماعي  
فشارك في الاعداد لثورة سنة ١٩٢٤ التي كان مصيرها الفشل .

يعمد الأمين في كتاباته الأدبية والي المزج بين السرد والشعر  
والاقتباس ، كما أنه يعتمد في أسلوبه النثري علي التركيز واختيار  
الكلمات المريحة المنتقاة بدقة من لغة الشعر وإن كانت متحررة من الوزن  
مثال ذلك - مقالة عنوانها :-

---

١ - الأمين ص ٧ .

«يا أمالي»

أمل كان حيا فمات ، ورجاء كان علي قيد الحياة فمزقت أشلاءه  
سهام أليأس ، فذهب الي حيث تذهب الأموات ، أمل كان بين جنبي  
مقيماً يريني غرفتي الصغيرة أوسع من الكون ، وأنا وهو أكثر من سكان  
المعمورة . فانتزعته يد الأيام فجأة وذهبت به إلي مرقد الآمال الأخيرة  
الي الدار الآخرة :

لا حزن الا أراه نون ما أجد

ولا «كمن» فقدت عيناى مفققد

أفلت الشمس فذكرتني أمالي

أبكتني كثيراً وقد كنت منذ قليل أرى الشمس طالعة فأخالها أمالي في

سماى حياتي

ولكن أبت الأيام إلا أخذها

ولولا كثرة الباكين حولي

علي أمالهم لقتلت نفسي

دخلت غرفتي فشعرت بوحشة كالتى تسكن القبور . فجلست علي  
سريري فوجدتني هادئاً كالميت ، ساكناً كالليل ، فخرجت مسرعاً لأبحث  
عن أمالي فوجدتها ... ووجدتها هناك في مذبح الآمال صريعة مضرجة  
بدمائها جثة هامدة ، فجلست بجانبها أنظر اليها وإلي جمالها الذى  
اخمدت ثورته يد الموت . ثم قمت من مكاني وحفرت لها قبراً عظيماً تحت

أشجار «الحراز» المورقة . وواريتها بالتراب هناك بعد أن سكبت علي  
قبرها صافيات الدموع ورجعت إلي منزلي واليأس<sup>(١)</sup> .  
فأنتم يارفاقي ويامن اتخذتم في الأشجار المورقة مقبلا ان مررتم  
بتلك المقبرة فحيوها عني وأنشدوها بلساني

تزهدت في وصل المعالي جميعها  
ومن يطلبها كاطلابي يزهد  
وليت تساوت في فؤادي مناهج  
تؤدي لخفض أو أو تؤدي لسؤدد  
وهذي بحمد الله منا براءة  
فيا أفق سجلها ويا أنجما أشهدي  
وأنت يانفس لا تجزعي لسوف أجد لك في هذا اليأس أملا تحيين به  
إلي الأبد ، وأهلا بك أيها اليأس أنت يا أملي الجديد .  
يامن أنت لي آسي  
سئمت قومي أن أوي الي الناس  
واطلب العيش بين الطاسي والكاسي  
قم يا حبيبي اسقنيها غير مكرث

---

١ - الأمين ص ١٩ ، أنظر دكتور غنيمي هلال - ص ١٤٠ .

بين الرياض وبين الورد والاس  
والزهر يضحك والأطيار شادية  
وأنت تنشد يا من أنت لي أس (١)

## مصطفى سعيد ذلك النيل الأفعي (١)

نظرية «فرويد» عن التعلق بالأم تعطي بعد جديداً عند «يونج» وذلك يربطها بالأرض الأم «كالي» الأرض الأم عند الطيب صالح او عند مصطفى سعيد هي السودان بوضعه الحضاري نوبيته ، عرويته ، افريقيته - تأثره بالحضارة الغربية منذ بداية هذا القرن، والطيب صالح من التاريخ، من المثلوجيا استمد كل اعماله - نومة ود حامد وعرس الزين ، وموسم الهجرة إلى الشمال، وهذا ما يفسر لنا تلك الروح الصوفية في الجنس - التي تتسم بها أعماله - وروح التصوف ترجع الي نشأته في القرية وامتصاصه لثقافة القرية في شمال السودان، كان هذا هو عالمه في غربته يستعيده ، يعبده ويهيم به ، لم ينس أهلها لحظة ، يري وجوههم في الزحام ، ويشم رائحتهم ، عندما ينكشف ضباب الغربة ويتجلي ستار من الوهم، ألهبه الحنين والشوق إليه .

أوربا لم تكن رحبة الصدر ، صدرها بارد، صقيع تصطك اسنانه حين تهب العواصف الثلجية المدمرة ، في الداخل يعربد عالم غريب له نكهة الموت والحياة، المسرة والحزن .

وحنين الطيب صالح إلي عالم آمن ، والأزمة الحضارية التي تعرضت لها أوربا ، ومحاولته المستمرة للتكيف مع الحياة فيها ، جعلته

---

١ - نشرت بمجلة الخرطوم ، العدد الرابع - السنة الخامسة ، يناير ١٩٧٠م.

يهرب بوجودانه كما هرب مصطفى سعيد الي القرية مؤثرا السلامة ، الي البيئة التي جاء منها ، والثقافة التي رضعها وفطم عليها ، الطبيعة ومسراتها ، والأم واحضانها، ذلك لعمري صوت اعرفه ، له في بلدنا وشوشة فرحة ، صوت الريح وهي تمر بالنخيل غيره وهي تمر بحقول القمح ، وسمعت هديل القماري ، ونظرت خلال النافذة الي النخلة القائمة في فناء دارنا ، فعلمت ان الحياة ما تزال بخير - أنظر الي جذعها القوي المعتدل والي عروقتها الضاربة في الأرض والي الجريد الاخضر المتهدل فوق هامتها، فأحس بالطمأنينة، احس انني لست ريشة في مهب الريح ، ولكني مثل تلك النخلة مخلوق له أصول ، له جنور له أهداف ،

من هنا يبدأ الحلم وهنا تنتهي الحقيقة، الحلم بان يكون كل شئ في القرية ثابتا لا يتغير بتغير العالم حول الجد وهو ثابت لا يتغير ، يموت أناس ويحيا آخرون ودومة ود حامد كالجد رمز للثقافة والأصالة لا يلحق بها الكبر ولا تموت، لا يعلم الناس لها بداية ، ويبدو ان ليس لها نهاية مكانها النخلة إلهة الخصب عند الفراعنة، أهم التي تمنحهم الطعام والماء والخير والنماء ، علي اعتاب الدومة وفي احضان الجسد يتفجر ألم الطيب صالح ، ويرن صوته كأنه حاد يحد ابلان من عهد عاد، يطلب عدم التغير والتجدد في الحياة ، هكذا ان تظل رجة، ارضاً طيبة خصبة لا تدنسها أقدام الوافدين الغرباء لتبذر فيها السم والموت والدمار ، في دومة ود حامد ظلت القرية تقف ضد الدخلاء محافظة علي تراث الآباء

والأجداد ترفض الزيف والخداع ، يحميها «المنمة» شتاءً ونباب البقر صيفاً وفي عرس الزين حيث الأسطورة والخرافة التي لا تقبل تفسيراً هي التي تمنح المدارس والمصانع والزرع والنبات والخصب والزواج، ترحم الطبيعة الاسطورية هنا الضعفاء كما تتسامح مع الأتوماء .

ولكن جاءت الحرب للقرية من حيث لا تحتسب ، هبت عليها رياح علي حين غفلة من اهلها ،وفي ليل حالك الظلام داهمها ذلك الثور الهمجي الذي لا يكل من الطراد تركها بعد أن أكد خلوده في نيلها وأصبح ذرة من مائه ، لولاه ما كانت بداية ولا نهاية وعلي القرية أن تواجه مصيرها . الطفل الملتهب ، يشتعل نهارة بين احضان امه ، يحرق صدرها ، تصرخ وتضمه بين أحضانها مؤكدة عطفها وبذلها .

من عالم الأم الغامضة كالأرض الغامضة قبل نصف قرن علي وجه التقريب ، غادر مصطفى سعيد عالمها ، وكان وجهها صفحة بحر عليه اطلق شرع قاربه الذي لم يتوقف لحظة ، أبحر الي عالم في الشمال مجهول لديه ، كانت ميناء منه البدء واليه المنتهي، الي ان رست سفينته عند ام بديل ، مسزروينسن الأم البديل، العشيقة التي أحبها ولأول مرة تنفحه رائحة إمراة مثلها ، لم ينسها حياته ففكرته عن الجنس وخبرته الأولي منذ ان عهده ترجع الي اول تجربة جنسية استقبلته بها مسزروينسن ، لم يمارس معها عملا جنسيا ولكن رغبته في ذلك لا تخفي علينا ، الام العشيقة ، القاهرة المدينة الشرقية لحفتها ثقافة الغرب ،

ركنت انظر الي شعر إبطيها وأحس بالذعر .. لعلها كانت تعلم أنني  
اشتيتها لكنها كانت عذبة ، أعبد إمراة عرفتھا . تضحك بمرح ، وتحنو  
علي كما تحنو ام علي ابنها .

ومن شاطئ الاسكندريه ، ومن علي رصيف الميناء تقف مسز روبنسن  
تودعه وتزرف الدمع علي فراقه ، تنطلق الباخرة نحو الشمال تشق مياه  
البحر الغامضة ذات الالوان المبهمة كوجه امه عندما ودعته في الخرطوم  
، مع انطلاق الباخرة تنطلق طاقة الجنس الكامنة في هذا البطل الغازي  
، فهو كالقارب يسير نحو الشلال يدفعه التيار، الشلال قد يكون امرأة ،  
والنساء عنده جبال ومدن يرسي عندها ، أو يعقل بعيده علي أطرافها  
وينصب خيمته، وفي الغد يسرح بعيره منطلقا عبر صحراء الحياة  
الأبدية باحثا عن نهاية استحال عليه الوصول إليها ، تكمن فيه قوي  
العنف كلها ، ذلك الثور الهمجي الذي يريد أن ينطلق ، وقد تحدد مرمي  
الهدف وازداد وتر القوس توترا ، كان لابد من إطفاء النار في جبل الثلج  
المعترض طريقه، شظية اندفعت من خط الاستواء لتدفيء وتحرق في بلد  
«تموت من البرد حياتها» وفي هذا الصقيع تكون الخاتمة الفحيعة  
الكبري ، هاهي ذي سفني يا حبيبي تبجر نحو شواطئ الهلاك، الوجه  
الغريب في اوربا، يلتفت فلا ينظر إلا إلي وجهه الأسود في شوارع لندن،  
ومن هنا تنشأ المعضلة التي لم يجد لها حلا، معضلة أو أزمة حضارية  
في البدء والنهاية، تشكل لنا الصراع الحضاري الذي يحاول نفيه بعض

الدارسين، اوربا تعطف عليه، وتمنحه عطفاً زائفاً في أوساط اليسار ،  
ببهاون به شاهدا علي ايمانهم بالمساواة وآخرون في أقصى اليمين  
يضطهدونه ، ويجد نفسه بين عالين كلاهما يببو زائفاً يروق له « الانسان  
لمجرد انه خلق عند خط الاستواء، بعض المجانين يعتبره عبداً وبعضهم  
يعتبرونه إلهاً .»

وحين تعقد المحكمة لمحاكمة مصطفى سعيد فانه لا يؤمن بمحكمتهم  
ويقوم قضاة عدالة في داخلة ويدير حوارا يحاكمهم فيه ، حكما لا يفصح  
عنه ، أنفة وكبرياء، فإن كنت قد مارست العنف فإنني لست أول من  
مارسه، تلك جرثومة مرض فتاك سممت به .

إنني اسمع في هذه المحكمة صليل سيوف الرومان في قرطاجنة  
وقعقة سنابك خيل الصليبين وهي تطأ أرض القدس . البواخر مخرت  
عرض النيل اول مرة تحمل المدافع لا الخبز، سكك الحديد أنشأت أصلا  
لنقل الجنود. وقد انشأوا المدارس ليعلمونا كيف نقول لهم نعم بلغتهم .  
إنهم جلبوا إلينا جرثومة العنف الأثريبي الأكبر الذي لم يشهد العالم  
مثيله من قبل في السوم وفي فردان ، جرثومة مرض فتاك أصابهم منذ  
أكثر من ألف عام ، نعم سادتي إنني جئتكم غازيا في عقر داركم ، قطرة  
من السم الذي حقنتم به شرابين التاريخ ، أنا لست عطिला ، عطيل كان  
أكذوبة ، مستضعف ينشد السلم وقد أذنت الحرب، منذ البداية يعيش في  
مجتمع عدواني ، مصدر العطف عليه ومصدر إيلامه ، ومن هنا حدد

موقفه وحدد ذلك العالم في داخله ، ورفض العالم بخادعه حين يطلب منه العطف، ويدمره حين يتعاطف معه ، هكذا أصبح مصطفى سعيد قوة غير واعية وغير مسؤولة عما تفعل طالما ان العالم حرب والحرب دائرة ، فليخض كل انسان الحرب بطريقته ، «هل الشمس شريرة حين تحيل قلوب ملايين البشر الي صحاري تتعاور رمالها ويجف منها ماؤها حلق العنديل ، وهل يكون البحر شريراً حين تتحطم السفن علي صخوره، وقد انطلقت طاقة مصطفى سعيد، نكاؤه ، عقله ، اصبح «الظفر الجنسي» بالنسبة له هو أساس الكرامة الشخصية والقيمة الذاتية ، محاولا الانتقام من المجتمع الذي عاش فيه بالخداع والغش ، والظهور بغير مظهره ، كما يقول كولن ولسن ، الرجل غير العادي او الخلاق الذي لم يجد الطريق الواضح لابرار موهبته كفنان رائع او مفكر عسكري يلتجئ الي الغزوات الجنسية لتأكيد اعتباره الذاتي ولابراز شخصيته، واهتمام مصطفى سعيد العميق بالجنس هو بديل لمنافذ طاقات أخرى خلاقة ، فايما مصطفى سعيد بقوته وذكائه يتطلب متنفساً وقد وجدته في «الانجازات الجنسية الباهرة» التي كان يحققها، ومصطفى سعيد في ممارسته للجنس لم يكن شاذاً جنسياً، ولكنه يقف علي عتبة الشنوذ ، وحين لم يستطع ان يجد مكاناً لنفسه في المجتمع الانجليزي فإنه يحاول التحرر والانتعاق ليس هو في الواقع الا تحريراً للنفس مما تعانيه من كبت، فقد كان فرويد ينظر إلي تاريخ الكبت الذي عاناه الإنسان

نفسه، ويرى أن العودة الي العالم الذي قهره الانسان في اعماقه يمثل نوعاً من التاريخ الباطني، يقود اكتشافه لا إلي ازالة الستار علي الإنسان فحسب وإنما ايضاً يسقط الحجب التي كانت تخفي وراها أسرار الحضارة .

كما يذهب ماركيوس الي ان القهر الجنسي الذي مارسه الانسان يشكل عقبة في طريق الانتاجية لا تقل اهمية عن البنيات الاقتصادية والاجتماعية في تأثيرها علي عملية التحول النوعية للحياة .

وعندما اتجه مصطفى سعيد الي الجنس كان الجنس لديه طاغيا، لا يحدد هدفاً ، عليه ان ينطلق ، وبالنظرة التي لا تخطئ الهدف كان ينال صيده ، عندما يتحرك ماتحت الحجاب الحاجز ، ويبدأ الطراد لتنتهي التجربة بفريسة انهكتها رحلة ، وتطلب عالماً من الأحلام ، الذي هاجرت اليه مسز روبنسن عالم الشرق - الصحراء، الند والصندل المحروق ، بلاد الشعر والإلهام، مهبط الرسالات، ارض الأنبياء ، العالم الصغير الذي أقامه مصطفى سعيد في حجرته، وشعوره باللذة لا يتم إلاحين يفقد عشقيته استقلالها ، ويجعلها غير قادرة علي اتخاذ قرار وأحسست بزمام الحديث في يدي كفنان مهرة مطواع أشده فتقف ، اهزه فتمشي ، احركه فتتحرك وفقاً لارادتي ، ان يمينا وان شمالا .

خلق مصطفى سعيد عالمه الذي يستطيع ان يخضعه وسيطر عليه ، الي ان التقى بجين مورس ، فكانت نقطة تحول ، لم تكن مهراً مطواعاً

كانت مشاكسة متحدية ، سادية حين تنطلق في الشارع، تضرب وتتشاجر، وفي الحجرة حين تمتنع عن معاشرة مصطفى سعيد، جحيما لم يستطع الصبر عليه ، وحين تيقن من أنه أخضعها واعترفت له بالحب وفي الحب تكون السقطة المهلكة ، والسقطة المهلكة حالة وجد صوفي حين يعترف المحب بأسرار من أحب ، وتتوحد الشخصيتان في عالم روحي ، لا هو بالحي ولا هو بالميت ، عندما قتلها اعاد لشخصيته وحدتها وتوازنها - وفجأة تنهاوي كل المدن التي اقامها - لعله بقتلها وانتحار من رافقته واكتشفن زيفه ، قد قتل الأم البديل «مسز روبنسن» ايزبيلا سيمور أن همندر وشيلا جرينود ، وجين مورس لم يقتل جين مورس، كراهية «كان حبا عجز ان يعبر عن نفسه» كما كانت أمه عاجزة عن التعبير عن حبها ، فأثرت الصمت ، عقدة أوديب والانتقام من الأم وعشيقها، الذهاب منها والعودة إليها تتكرر باستمرار ، الأم التي أغرقها في النيل زورا ، وقتلها قبل أن يأتيه خبر موتها ، كان لا بد ان يبكيها في لحظة من لحظات حياته ، الأم التي انطلق منها لا مبالياً عاد إليها وقلبه مثقل بأثاث وجراحات ، قلبه جاء مفعما بالحب، يقول الدكتور شكري عياد في كتابه «في الأدب والأساطير» نحن نقوم علي توضيحتين عظيمتين في مرحلتين هامتين من مراحل العمر، فحين نخرج الي العالم الكبير نضحى بحب الأم والامن في احضانها، لنحرق غريزة النسل ورغبة الامتداد عندنا، ثم إذا شبعنا من هذا العالم الذي كسبناه وزهدت

نفوسنا فيه، ضحينا باللبينو الذي بدأ الصراع، لنعود إلي المصدر الذي بدأنا منه لنحقق الخلود بإرادة الموت .

وعندما عاد مصطفى سعيد إلي عالم الأم كان عقله قد تسمم ، حاول النسيان ولم يستطع، ودار صراع حاد بين ما يريد ان يكون وبين ما يمر في الأعماق من ذكريات ، كيف وقد ضاجع إلهة الموت، وأطل من كوة عينها علي الجحيم، وقد ظل مذاق تلك الليلة في فمي يمنعي اي مذاق سواه، تلك قصور الوهم الهوائية الهشة أصبحت أثيرة لمصطفى سعيد تدعوه الي نبذ الحاضر والتمسك بذاته القديمة ، وبقايا ماضيه الذي لم يخلص من تأثيره، نبعاً من الوعي الجماعي ، يمدّه بقوة روحية تبسو أعظم منه وحكمة لا تسمو إليها تجربة .

انتهى عهد الانطلاقة للبناء بلا حدود واتجهت الإرادة نحو طلب الموت ، فكما أن الدافع الي النمو غير المحدود في الشباب يكون في كثير من الاحيان راقداً تحت غلاف من مقاومة الحياة ، فكذلك كثيرا ما تكون إرادة الشيخ في أن يموت راقدة تحت غلاف من المقاومة العنيدة للنهاية. ومن العقل الجماعي ورموزه الجنسية يستمد الطيب صالح كل صورته، وتظل هكذا شخصية الراوي ، الذي لا يمثل الإشبعا أو ظلا، خلفه مصطفى سعيد علي ضفاف النيل حين غرق : يهتز النيل فيظهر لنا الظل مرة اخري شبحاً يطارده هكذا اختار النهاية في النيل ، الإله الأفعي سادر الي الشمال كأنه تفرغ شحنة جنسية لمصطفى سعيد ،

الذي يشبه نفسه بالنيل عندما التقى بابزاييلا سيمور «الطائر يامستر مصطفى وقع في الشرك، النيل ذلك الإله الأفعي قد فاز بضحية جديدة»  
فمصطفى سعيد هو النهر وهو الإله ، هو الأم الأفعي ، هو العاشق وهو المعشوق ذلك النيل - إن هو إرمز الأم عند بعض الشعوب البدائية حيث يجد السحرة الإلهام كما يجد الخطاة مغفرة بالاستحمام فيه ، النيل الأفعي ، ذلك الإله الأسطوري الذي نجده في موسم الهجرة إلي الشمال ، وفي نومة ود حامد، الأفعي نفسها عند بعض الشعوب ترمز الي عضو التناسل ، الشمس ، كلها رموز لإبعاد جنسية تدل علي الخصب وتتخذ من أعضاء المرأة التناسلية والرجل رمزا لها ، وفي السودان كان الشك يعبدون قوة الملك الجنسية علامة علي قوته السحرية .

الجنس هو كوة الجحيم التي أطل منها مصطفى سعيدعلي دنيا الهلاك، تلك الشمس رمز الموت والاحضاب والحياة والموت، تقتل الناس في أرض لم تترك فيها الشمس قتلاً لقاتل، هذا ما أراد اثباته الراوي ، حين تخيل أن الشمس تمارس الجنس علي الناس والحجارة ، كأنها مصطفى سعيد حين تئن من طعناته جين مورس أو ود الرئيس، تصرح امرأته عند الفجر شبقة باللذة ، فالشمس هي التي قتلت الأعرابي - يقول الراوي لرجال البوليس الذين يبحثون عن أعرابه من المريصباب قتلت زوجها ( انها لم تقتله بل هو مات من ضربة الشمس كما ماتت

ايزابيلا سيمور وشيلا جرينيود وأن همند وجين مورس ( مصطفى سعيد ، هو ضربة الشمس وهو الشمس، في موضوع الجنس، يحدث القتل ، وغرق مصطفى سعيد في النيل متابعاً الشمس في مسيرتها من الشروق إلى الغروب رمز لذلك، فمن النيل عاد إلى النيل، كأنه الشمس في هذه القرية، تشرق من النيل صباحا وتغوص فيه عند الغروب، تمنح القرية عطاء حبا ونماء، حياة وموتا، بداية ونهاية .

عودة بالانسانية الي مصادرها الأولى، إلى منابعها الثرة، حين كان يمارس الحب ويفترس ويعبد، حتي ايزابيلا سيمور التي وقعت في حب مصطفى سعيد نون ارادتها هربا من مرض السرطان ، مرض العصب ، بحثاً عن خلاص يعيد لها الحياة بكل مكوناتها ولهيبها، جين مورس جحيم مسطفي سعيد آلهة الموت، مصطفى سعيد إله ايزابيلا سيمور وجحيمها وغولها الذي يريد أن يفترسها - « اقتلني ايها الغول الأفريقي ، احرقني في نار معبدك أيها الأسود ، دعني اتلوي في طقوس صلاواتك يتطور الإنسان فيتقدم ،لكن في مجال الجنس وحده يظل مشهودا إلى الماضي دائماً، الجنس اذا كان غزوا وحربا وموتا وحبا عند مصطفى سعيد، فهو كذلك عند بت مجنوب فهي لا تتخيل الرجل إلاغازيا كأي زيد الهلالي، وتفاخر بمعرفتها لهذا الموضوع واتقانه، حريم النصاري لا يعرفن لهذا الشيء كما تعرف له بنات البلد . وحين ترقد «بت البلد» علي البرش الأحمر بعد صلاة العشاء وتفتح فخذيها يشعر الرجل كأنه أبو

زيد الهلالي الرجل الما عنده همه تصبغ له همه ) .  
وعلي هذه الوضعية غزا مصطفى سعيد اوريا وقتل جين مورس ،  
فخذان بيضاوان مفتوحتان ، بنت مجنوب التي كانت تري أن هذا  
الشيء لا يقتل أحداً تخفي حقيقة مشاعرها ، عندما كانت تصف ود  
البشير وممارستها للجنس ، قالت عنه انه كان عندما تأتيه الحالة يخور  
كالثور المذبوح ، ذلك الرجل الهمجي الذي لا يكل من الطراد ، الذي قتل  
وأنتهي حياته علي افخاذ جين مورس هو في الواقع رمز الاخصاب والله،  
عجل بني اسرائيل الذي عبده ايزايلا سيمور وكفرت بآلهتها، والرجل  
هو الذابح والمذبوح، والمرأة كذلك، يقول كوان ولسن ، يمكن لنا ان نطلق  
تعميما واحدا فقط حول الغريزة الجنسية وهو أنها تعمل علي مستوي  
أعمق من أي دافع انساني آخر بما في ذلك دافع السلامة الشخصية »  
ومحاولة محاربة المصدر الذي جننا منه ، وغزوه والانتقام منه ، نزعه  
نجدها عند بعض القبائل البدائية في استراليا، ويروي لنا «يونج» صورة  
رمزية لهذا الموقف « كان أفراد هذه القبائل في أعيادهم يحفرون حفرة  
ويتعلقون حولها - يضعون أشجارا حولها كعضو التانسل عند المرأة،  
ثم يرقصون وهم يحملون الحراب في هيئة تمثّل القضيب، ثم يقذفون بها  
في الحفرة وهم يصيحون - ليست حفرة بل فرج، ذلك مستودع الأسرار  
حيث يولد الخير والشر الذي كانت عينا مصطفى سعيد تنزلقان فوق  
إبطين يتسقطان عليه وجين مورسي تقبل الخنجر شبكة متعششة الي

دماؤها ، تبرق عيناها باللذة ، وتختلط الصورة في ذهن مصطفى سعيد بموقف الحرب والغزو مستخدما رموزا كان يستخدمها نفس هؤلاء البدائيين أمسكها فكأنني أمسك سحايا، كأنني أضاجع شهابا، كأنني امتطيتُ صهوة نشيد عسكري بروسي .. اقضي الليل ساهرا أخوض المعركة بالقوس والسيف والرمح والنشاب، وفي الصباح أرى الابتسامة ما فتئت علي حالها، الفشل في ميدان خصص له ، هو الذي دفعه الي القتل ليحقق الانتصار في قمة الاعتراف بالتوحد ، وهذا ما كان يجعله مشغولا بود الريس لقد رأي صورته معكوسة هنا في القرية ، ولكنها تختلف عنه، فود الريس لا يخادع ولا يهادن - ومثله مثل مصطفى سعيد لا يؤمن بالحب ، يمارس اللا تمييز بين النساء - كما يقول هو مهما يكن لا توجد لذة أعظم من لذة النكاح « لا يعنيه من المرأة إلا أنها امرأة يأخذهن حيثما اتفق ، فلاتية مات زوجها ، كباشية ، بنقلاوية، فرخة يختطفها ويفتصبها، فتاة تصغره بأربعين عاما، يصر علي الزواج منها، وحين يُسأل كان رده، الفحل غير عواق « وإذلال الجنس سمة أساسية مميزة للمدينة والبربرية علي حد سواء ، مع فارق واحد هو أن البربرية تمارس الرذيلة بدون تجميل بينما ترفعها المدينة الي درجة وجود معقد ملتبس محرج ومرء (لقد حقق ود الريس عالم مصطفى سعيد في هذه القرية ، وان اختلفت الوسائل» ود الريس كان شخصا متكاملا واثقا من نفسه محبا للحياة عاشقاً لها، قانعا بعالمه، وحريصاً علي تحقيق ما

يصبو إليه ، وإن جاء الموت فهو قدر من الله ، أيام نقضيها علي وجه الأرض وبعدها ربنا يفعل فينا ما يشاء ، تلك حلاوة اليقين التي أتسم بها أهل القرية وفقدما ابنهم المثقف الوافد .

ورسم مصطفى لود الريس في اكثر من ثمان صور يوضح لنا ان هناك حوارا خفيا كان يديره مصطفى سعيد بينه وبين ود الريس، هو وحده وريثه بطريقة أو أخرى وغريمه في هذه القرية، وينتهي بنفس النهاية التي انتهت إليها جين مورس وعلي يد حسنة بنت محمود ارملة مصطفى سعيد، فحين فقد التوازن بين الشخصيتين، كان لا بد من حدوث الموت، وتتوحد الصورتان حين يخلط الراوي بين فخذي جين مورس وفخذي حسنة تحت وطأة ود الريس .

الجنس هو الشيء الوحيد الأبدي الذي يظل يطارد الانسان وهو علي حافة القبر، هكذا كان شيوخ القرية يستلنون لذاكراه ، يعيشون علي ماضيهم وانتصاراتهم في السابق ، يتمنون ان يعود الزمن مرة أخرى الي الخلف، حتي الجد سمع عن غنج بت مجنوب ويسأل عنه بلذة لا حد لها، وفي حياتهم لا نجد فارقا كبيراً بين العبادة والجنس ، فهم قد يسبحون وعندما يتحدثون عن الجنس ينسي الجد مسبحته مسقطا ثلاث حبات من مسبحته مرة واحدة دون وعي «وكلما بالغ ود الريس عن الجنس واستطرد » كانت حبات المسبحة طول الوقت تنقلت من بين أصابع جدي، وقد كانت بت مجنوب مشهورة في القرية يتسابق الرجال

والنساء علي السواء لسماع حديثها لما فيه من جرأة وعدم تحرج، وفي أوقات ألمحنة كانت بت مجنوب تشعر بلذة الافتراس والموت حين تقص مأساة ود الرئيس وحسنة بنت محمود، لذة تشبه تماما تلك اللذة التي حصل عليها مصطفى سعيد عندما كانت دماء جين مورس تتدفق .

والكون بما ضيه وحاضره ومستقبله اجتمع في نقطة واحدة ليس قبلها ولا بعدها شيء، كأنها لحظة التجلي حين يفني المحب في ذات المحبوب يقول فرويد «إن زيادة العدوان الجنسي زيادة مفرطة تحول المحب الي قاتل من أجل اللذة الجنسية» الحاضر يمتد إلي الماضي دائماً، يلقي ظلاله عليه ، وتتبين لنا هذه الظلال عبر الماضي السحيق، وعندها يتحول التاريخ الي قواد وصوراً مكررة لمصطفى سعيد وعشيقاته ، فقد عاش معهن عبر معاناة الإنسان، والتقي بهن في أوقات المخاض الكبري لحضارة الشرق، عاش مع أن همدن « كيف انسي دارنا في الكرخ في بغداد أيام المأمون ، فقد سرت اقتنفي أثرك عبر القرون، والتقي بابزابيلا سيمور في جنة الله في الأرض ، حفيد طارق بن زياد إلتقي بمحبوبته في أرض الأندلس ،وعاش مصطفى سعيد مع جين مورس ليالي الشرق، قصوره وملوكه - مأساته الأبدية حين يوجد ملوك ومتسولون «كأنني شهريار رقيق تشتريه في السوق بدينار، صادف شهر زاد متسولة في مدينة قتلها الطاعون» .

## أصول القصة الحديثة في السودان (١)

بعد الفتح الثنائي نجد ان الموظفين المصريين والاساتذه يقومون بنفس الدور الذي قام به استاذ يسمى الجداوي الذي قام في العهد التركي وقبل ثورة المهدي بنظم شبه روايات تمثيلية لطلابه بمدرسة الخرطوم وقد اتيح لكثير من رجال الادارة والمواطنين حضور مثل هذه المناسبات وبها اعجبوا غاية الاعجاب ونالت رضاهم كما كانت هناك بوادر لتوظيف المسرح لأغراض سياسية تنافسية دعائية بين الانجليز والمصريين قبل قيام الثورة المهديية وفي منتديات الحاليات الأجنبية علي وجه التحديد كما أفاد بذلك مراسل جريدة الأهرام المصرية .

أخذ الموظفون المصريون في بداية القرن العشرين في إقامة جمعيات وأندية للتمثيل اجتذبت إليها الكثير من قطاعات الشعب السوداني، كما كان الموظفون الانجليز يجدون متعة في تزجية أوقات فراغهم بمشاهدة مثل هذه التمثليات فكانوا يشجعونها ويتبرعون لها بالمال بل ان بعضهم كان يعلق علي مستوى الاداء لمسرحيات مترجمة بانها لا تقل عما يمثل علي مسارح لندن .

وعلي نفس المستوي أستطاع بعض السودانيين المستتيرين أن يستوعبوا الحركة المسرحية ويقلدونها في وقت وجيز إما بالاطلاع علي

---

١ - نشرت بمجلة الخرطوم - يناير ١٩٧٥م.

الأدب المسرحي أو مشاهدة ما كان يقوم به الأساتذة والموظفون المصريون من أنشطة ، فقد قام الأستاذ بابكر بدري في سنة ١٩٠٤م بتنظيم نشاط مسرحي مدرسي سايره فيه مأمور القطينة الذي قام بتأليف مسرحية نثرية باللغة الدارجة سماها المرشد السوداني .

لم تكن هذه النهضة التي بدأت نهضة تلقائية متعثرة ولكنها كانت واعية بأبعاد العمل الادبي ومستفيدة أو محاولة أن تستفيد من تجارب الشعوب الأخرى التي سبقتها في هذا المضمار ولذلك نجد أن الموظفين المصريين حرصوا علي أن يقوموا بتأدية أنوار قصيرة وغير معقدة كما أن الروايات الموضوعية والمترجمة كانت تتميز بالقصر .

وقد حرصوا في كل محاولاتهم المترجمة بأن تكون ترجمتهم لها وفيه للأصل . وقد كانت ترجماتهم في معظم الاحوال لقصص ومسرحيات فرنسية « كبر باراين » للكاتب الفرنسي الفريد دي موسيه .

أن التمايز في المفاهيم والمصطلحات الأدبية لم يكن متعارفاً عليه ولم تحدد الفواصل بين جنس أدبي يطلق علي المسرحية أو علي القصة الطويلة وفي احيان قليلة القصة القصيرة، وجميعها كأن يطلق عليها رواية، ومن هذا المنطلق قدمت فرقة «الاقباط» المسرحية كثيراً من الروايات المصرية وعلي رأسها رواية «البديوية»، كما قدمت نفس الفرقة وكانت تسمي فرقة الاقباط الانجيلية في ١٩٣٢ رواية « تليماك» وهي مسرحية ويقول من شاهدها من السودانيين أن الاقبال عليها كان فاتراً

لانها كانت تمثل عصور الوثنية .

إنّ فالشعب السوداني في سعية الدؤوب لخلق حركة ادبية ناهضة كان بصورة واعية جدا يبحث عما يلائم قيمه ومثله حتي يتمكن من استيعابها بصورة كلية . وقد تمكنت فرق التمثيل من ان تجد ضالتها في مسرحية « مجنون ليلي » لشوقي فمثلتها فرقة السواكنية في بورتسودان ١٩٣٢ م وفي دنقلا مثلها الموظفون في نفس العام ، وقد كانت عملية الرجوع الي التراث القومي العربي اكثر جاذبية للأدباء فمثلت كذلك « العباسه » اخت هارون الرشيد ورواية « صلاح الدين » وقد قامت بتمثيل هذه الروايات جميعها فرقة السواكنية التي كان لها قصب السبق في ارتياد الحركة المسرحية وتنشيطها في مدينة بورتسودان وعلني المستوي القومي من خلال ما كان يقدم من تعليقات وآراء نقدية في الصحف اليومية والمجلات الادبية .

لقد أن في ذلك الوقت للسودان ان يقوم بدوره في إنعاش الحركة الأدبية وتطورها . وفي داخل الأندية السودانية ظهرت الدعوة الي التجديد في الأدب وقد قاد الدعوة بالتجديد في الشعر « الأمين علي مدني» الذي بدأ معركته مع التقليديين علي وجه الخصوص طالباً منهم أن ينحو منحى أدباء المهجر، كما انه كان متأثراً في دعوته للتجديد بالعقاد وبشكري ، ولم يقتصر الأمين في دعوته للتجديد علي الشعر فحسب ولكنه دعا الي التجديد في فن الغناء اداءً وتأليفاً .

وقد كان الأمين علي مدني حامل الراية الاول وتلاه أبطال آخرون في الدعوة إلي الأدب القومي .

فالاستاذ محمد أحمد محبوب يدعو للتجديد ويرى في الأدب سلاحا ماضيا قويا وفعالا وقادرا علي قلب معايير الحياة لتخدم اهدافا قومية سامية فما فائدة الأدب، كان شباب المتعلمين من السودانيين يسمعون لها عن علم ودراية أو جهل واستغلال بواسطة القوي الاستعمارية التي كانت تدير بعضهم من طرف خفي، وتحرض آخرين وتتحرش بالأغلبية من أدباء بلادنا الشبان من الأصلاء في تفكيرهم ومافائدة الأدب اذا لم يساعد علي الثورة والانقلاب في أساليب المعيشة والافكار وعلي تبين المشاعر وايقاظ النفوس والدفع بها إلي تيار الحركة والتطور في بلد ناشئ كالسودان .

أن جماعة الآداب والفنون من أعضاء مدرسة الفجر قد تولوا الدعوة للفصل بين الثقافة السودانية والثقافة المصرية وإقامة أدب سوداني أصيل نابع من تراث هذه الأمة ويعكس أمجادها ويحكي تاريخها ومن هذا المنطلق قادوا حركة النقد الأدبية وحاولوا توجيه أنفسهم . وقد كان الرواد والموجهون وهم الناشئة من الأدباء في نفس الوقت، قد تولوا الدعوة إلي الأدب القومي وأسهموا في كتابته ولكن أعوزهم الابداع الفني الاصيل في كثير من فنون الأدب وعلي رأسها القصة والمسرحية فانصرفوا عنها يا نسين بعد أن كان حماسهم ملتهبا وقلوبهم متاججه

بحب هذا البلد والسهر علي خدمته، لقد كانت هذه الجماعة أكثر الجماعات الأدبية تنظيماً وانضباطاً ومحاولة للتعرف علي الآداب العالمية وقرأتها وفي سنين مبكرة من حياة شبان لم يكملوا دراستهم الثانوية أو اكملوها تواء، وصاروا يقدمون محاضرات عن شكسبير وعن القصة والمسرحية، كما انهم اهتموا بإنشاء المجلات الأدبية وخصصت فيها أبواب للقصة القصيرة القومية والترجمة .

لكن مما يؤسف له أن الجماعة هذه كانت قصيرة العمر بإراداتها أو بإرادة غيرها والله أعلم، ولكن ماوصلنا من إنتاجها أصبح أساساً وأصلاً لجميع الدراسات والفنون الأدبية في بلادنا . ودون التعرف بعمق علي هذه الفترة فإن الدارسين سيقفون عاجزين عن معرفة الأدب السوداني والأصول التي تطور عنها أو بدأ بها .

ومن جانب آخر قاد الأديب السوداني «الطائر الأزرق» المغترب معاوية محمد نور حملة تجديدية علي مستوي العالم العربي فكان يدعو ويبشر بأدب وادي النيل من ضمن جماعة اطلقت علي نفسها رابطة الادب القومي التي يقول عنها معاوية « الرابطة التي نود تأسيسها للعمل في هذا السبيل تود جاهدة ان تصحح فكرة الادب القومي وان ندير أذهان القراء والكتاب الي ناحية الخلق الفني وأن نصرّفهم عن ادب الثقافة والترجمة والاقتباس .»

وبالرغم من هذه الدعوات الي الارتباط بالواقع والوطن والقومية

بصورة مباشرة فإن الأدباء كانوا يجدون متعة بالرجوع الي القصص العربي في العصر الأموي، والعباسي، ويحاولون تطويرها وتقديمها في شكل أدبي رائع وحديث . لقد قام عرفات محمد عبد الله بعد عودته من مصر بتكوين فرقة تمثيلية من الخريجين قامت بإخراج مجنون ليلي ونكبة البرامكة وغيرها من الروايات المعروفة والمتداولة في ذلك الوقت. لقد كانت البنية البدوية التي تدور فيها أحداث مسرحية «مجنون ليلي» مشابهة للبيئة السودانية العربية بعاداتها السمة وتقاليدها الكريمة وسبل حياة سكانها من البو والرعاة .

لقد أوجت مسرحية مجنون ليلي للأدباء السوانيين بأمكانية الاستفادة من البيئة السودانية وقصص التراث القومي وصبها في قالب فنية أكثر حداثة وتقديمها علي المسرح او صياغتها في شكل قصص وروايات قدم بعضها علي صفحات الصحف وبعضها لم تتح له الفرصة ليروي النور وذهب الكثير طي النسيان والإهمال .

لقد رجع الأدباء الي تراثهم يستوحون منه صورا مشابهة لقصة مجنون ليلي فكان اول عمل روائي منتزع من البيئة السوانية هو رواية « مصرع تاجوج ومعلق » وبهذا اصبحت القصة تراثا شعبيا متناقلا صبه الأدباء في أشكال مختلفة وتناولوا أحداثها من مختلف الزوايا تالياً وأسلوباً واحداً وشخصاً .

قدمت مسرحية «مصرع تاجوج ومعلق» بالنوييت الرصين وقد كان

نجاحها علي خشبة المسرح يعزي الي لغتها وهي اللغة التي يفهمها الجميع . ويقول أحدهم بأنها قدمت في الثوب الذي نعتبره أقرب ثوب وأصدق مظهر لرواية سودانية كهذه ، فما من رواية مثلت في السودان إلا وأنها إما مؤلفة مصرية او مترجمه عنها ، ونحن بحمد الله لا ترجمة ولا تأليف عندنا فكيف إذن لا نفخر و نحن الآن بصدد رواية سودانية باللغة السودانية المفهومة يؤلفها سوداني صميم .

إن إحترام النوبيت والأسلوب الذي تخرج فيه الأعمال الأدبية ووجوب أن يكون سودانيا اصيلا وبلغة التخاطب اليومي لم يكن نتيجة مصادفة ولكنها دعوة سبق ان ناضل من أجلها وقادها أدباء من خيرة شباب ذلك الجيل وعلي رأسه الأمين علي مدني وحمزه الملك طمبل . لقد كان الأمين يدعو الي إحترام العامية في الشعر وفي المسرح والغناء . ولعله لم يكن مصادفة كذلك ان تنجح الأعمال الأدبية المقدمة في أسلوب غنائي ناجح باهر اجتذب آلاف السودانيين من المتعلمين وعامة الشعب . فقد كانت مسرحية تاجوج بدورها مسرحية غنائية وقد كان الجمهور يستعرب الغناء في المسرح وله يطرب وخاصة النوبيت ، وفي هذا القالب قدمت روايات أخرى لقيت نفس النجاح لارتباطها بالبيئة السودانية ولإلتزام مؤلفيها بالوفاء للأصل الشعبي والتاريخي الذي اخذت منه . ومن هذه الروايات الملك نمر وخراب سوبا ورواية البتول وعائشة بين صديقين التي قام بتأليفها ابراهيم العبادي .

لقد كانت هذه الروايات حادي الوطنية وطاقرها المفرد أبدا حين كان الناس صامتين خائفين ومذعورين من تسلط ابوات القهر الاستعمارية . لقد كانت حقا اخراجاً قوميا واعتزازا بشخصيات كادت تندثر وقد بعد بها مؤلفوها عن الخيال وجموحه مما أجبر مشاهديها وقرائها علي احترامها واحترام من كتبوها : وقد كانت هذه هي المقاييس في ذلك الوقت : الأمانة في النقل والخضوع التام إلي الاصل مهما تعددت روآياته .

ورغم هذا التحفظ الشديد فقد تعرض مؤلفو هذه القصص والروايات بما فيهم «محمد عثمان هاشم» الذي قام بتأليف قصة اسمها «تاجوج» للهجوم والتجريح علي مختلف المستويات .

إذا كنا قد بحثنا عن أصول القصة في الحركة المسرحية وفي الدعوة القومية فإن لها أصولا أخرى وهي حركة تطور النثر العربي في السودان ذلك ان صياغة القصة اصلا تمت نثرا .

ومن الكتاب البارعين في هذا المجال «محمود القباني» الذي بدأ الكتابة منذ بداية هذا القرن وقد كان صحفيا بارعا سهل الأسلوب . سريع الايقاع ، جماهيري الاتجاه ، وقد عمد بمثل هذا الأسلوب إلي إيراد قصص واقعية « كما يقول هو » عن مظالم المصريين في السودان وفي هذه القصص يعتمد علي روايتها كنا هي حتي ما يدور فيها من حوار، ويجعل لها القباني صلة مشوقة ثم يربطها بما يجري من أحداث

في السوان .

لم يكن السودان، بمعزل عن التطور في أساليب النشر العربي فقد كانت المجلات والصحف المصرية تصل الي ايدي السودانيين بإستمرار ، فقد كانوا يقرأون صحيفة المؤيد وذلك منذ ١٩٠١م. قرأ السودانيون علي صفحاتها ما كان يُكتبه أدباء مصر وشعراؤها وما يقدم فيها من ترجمات كترجمة اليوساء « لحافظ ابراهيم » كما قرأ السودانيون مجلة البيان وما كان ينشر فيها من موضوعات أدبية وفلسفية وأخلاقية واجتماعية وفكاهية وروائية .

ولعل أول كتاب صدر في السودان كان تمهيدا أو أصلا لتطور القصة في السودان وهو كتاب «حكاية الملك ازدنجت » الذي يقول عنه الدكتور عبد الله الطيب بأنه صدر في ألف وتسعمائة وأربعة معربا عن الهندستانية وقام بتعريبه رئيس المخابرات كما يذهب بعض الرواة .  
وعلي صفحات الرائد الف وتسعمائة واربعة عشر بدأ نوع جديد من الكتابه النثرية تتناول النواحي الذاتية لبعض الكتاب وموقفهم من الحضارة نتيجة للزلزلة والتصدع الاجتماعي وعدم مقدرتهم علي الحفاظ علي القديم بروحه الطيبة ،أو مجارة الجديد وما فيه من تفسخ اخلاقي واجتماعي ولعلمهم في هذا كانوا متأثرين الي حد ما بحديث عيس بن هشام للمويلحي. ذلك أن بعضهم كان يقوم بكتابتها تشبه المقامات في شكلها ومضمونها التجديدي الذي اضافهُ المويلحي في حديث عيس بن

هشام وحافظ ابراهيم «في ليالي سطيح» والكتابان معروفان لدى الأبناء  
السودانيين في ذلك الوقت .

إن الدارس لهذه الأعمال لا يستطيع الحكم علي ما اذا كان كتابها  
سودانيين ام مصريين اللهم إلا أن يستنتج ذلك من روح العصر وقد لا  
يوفق، لأنهم غالباً لا يوقعون بأسمائهم. هذا وإن كنا قد استطعنا  
التوصل الي أول كاتب سوداني نجد في اعماله تأثيرا واضحا بالمولحي  
وحافظ وهو «ارباب محمد» ويمكن اعتباره أول من تناول موضوعا يشبه  
في كثير من عناصره القصة القصيرة بما فيها من تركيز ونقل للحوار  
كما هو في الحياة العامة واعتمادا علي السرد . وفي كتابات ارباب  
محمد نلمس روحاً رومانسية متشائمة تحتوي علي كثير من مناجاة  
الطبيعة تشبه الي حد بعيد مناجاة المنفلوطي للقمر ، كما أن المحافظة  
والثورة المكبوتة كانت سمة أساسية لكتاباته، والمحافظة في كثير من  
كتابات الأدباء تنعكس في دعوتهم الي التمسك بتقاليد الاسلام السمحة  
خشية الفساد. ولذلك كان أسلوبهم يتضمن كثيرا من الصور الأدبية  
المستمدة من القرآن الكريم وقد ينتزعون بعض الصور من احاديث  
الرسول .

إن النثر في الأدب السوداني لم يكن أداة متطورة تخضع لمراحل  
متتالية في تطورها وإنما تطورها كان يتم في فترات متباعدة احيانا  
ومتقاربة أحيانا أخرى ، فإذا كانت كثير من البلدان العربية قد مرت

بطور تعريب الآداب الغربية أو أخذ نماذج من الخارج وترجمتها أو الصياغة علي منوالها ونسبتها الي المترجمين أنفسهم بعد التحوير والتعديل الذي يدخلونه عليها وخاصة في مجال الرواية والقصة القصيرة ، فإن السودان كان بمعزل عن هذا ولم تتح له ظروفه الموضوعية أن يمر بهذه المرحلة. ولقد وفدت الآداب الأوربية علي السودان بعد ان عرفت هذه الظواهر في الأدب واستطاع النقاد العرب أن يكتشفوا المنتحل والأصيل منها وبذلك كان الطريف ممهداً أمام السودانيين لكي يبدأوا عملا اصيلا كان متعثرا في مهده وأثناء مراحل تطوره المختلفة.

ولعل هذا أفاد طليعة المتعلمين من السودانيين من أن يتأثروا بالآداب الغربية بصورة مباشرة ومحاولة توظيفها في موضوعات قومية خاصة وأن جريدة الرائد قد نشرت عدة مقالات للاستاذ خليل الخوري يكشف فيها النقاب عن السرقات الأدبية في هذه المرحلة . وقد يرجع السبب الي أن المبتدئين منهم كانت ثقافتهم الاجنبية محدودة فلم تيسر لهم كما لم تساعدهم علي الاستفادة الكاملة من الآداب الأوربية .

لم تقف المحاولات الادبية والحركات التجديدية عندما توفقت الرائد ولكنها استمرت بصورة اخري اضعف من السابق علي صفحات حضارة السودان، ذلك أن حضارة السودان كانت تنتشر من الأدب ما يوافق هوي المشرفين عليها وقد كانت مهامها سياسية منذ البداية فأنصرف عنها الأدباء ولم تعكس لنا أي نهضة أدبية، علي صفحاتها بل

أن مجال الأندية والجمعيات الأدبية كان ارحب منها، ففي هذه الاندية والجمعيات استطاع «الامين علي مدني» ان يبيث دعوته الي تقليد او محاكاة الكتاب المصريين كالعقاد وطه حسين وكامل كيلاني وأن يدعو الي نبذ تقليد الأدب القديم . كما استطاع أن يقود ثورته علي الأشكال الأدبية فهاجم الشعراء التقليديين .

علي يد الامين علي مدني تطور النثر الفني خاصة في مقالاته ومقطوعاته التي تشبه الخواطر الذاتية والتي كان يضمنها دعواته الي التجديد في الأدب محاولاً توجيه الحركة الادبية للارتباط بواقع الحياة القومية، وعلي نفس المنوال سار حمزه الملك طمبل الذي دعا الي الارتباط بالواقع شعرا ونثرا .

ومن هنا اتجهوا إلي النقد الأدبي والتوجيه وكتابة ما يشابه الواقع من القصص القصيرة. فقد نظر الأدباء الي ما عندهم من أدب فوجدوه خلوا من الأجناس الأدبية الغربية التي وفدت إلي العالم العربي وقطعت فيه بعض البلدان العربية شوطا بعيدا كالقصة والرواية والمسرحية والترجمات .

فبدأوا هم بدورهم يتأثرون ويقرأون لمن سبقهم من أدباء العربية الي ارتياد الادب الأوربية والتأثر بها فقرأوا للطفي السيد وزكي مبارك وهيكل والعقاد والمازني ومحمود تيمور ومحمود طاهر لاشين .

نظر الأدباء إلي ما عندهم من أدباء فوجدوه خلواً من الأجناس

الأدبية كما سبق أن ذكرنا فلم يكن أمامهم إلا تقليد المتأثرين والابتكار، فتجنبوا التقليد ولم يسيروا شوطاً بعيداً في الخلق أو الابتكار محاولين تغذية ابتكاراتهم بقراءات متعمقة أحياناً في الأدب الإنجليزي والترجمة عنه، وقد أحدثت هذه القراءات تحسناً في الأسلوب الأدبي وتدقيقاً في البحث وإشراقاً في الديباجه كما يقول المحجوب .

بالرغم من أن دعاة مدرسة الفجر قد حاولوا الفصل بين الثقافتين المصرية والسودانية إلا أن هناك شيئاً واحداً كان يجمعهم وهو الثقافة العربية .

فالسودان كما يري الكثيرون قطر عربي ، يتكلم العربية والوطنيون عرب أقحاح وأن وجدانهم عربي وما يميز السودان عن بقية البلدان العربية هو تنوع طبيعته وتعدد بيئاته ، ومن هنا دعا الأمين علي مدني الي وصف العتومر وغابات الجنوب وشعاب الجبال ، وهذه الدعوة بدون شك لم تفقد أصالتها وظلت باقية الي عهد قريب حين قامت جماعة الغابة والصحراء بتجديدها في الستينات ولكن بأبعاد أعمق .

كما دعا معاوية محمد نور إلي تصوير النيل وعبقريته في الاعمال الدرامية والقصصية والتعمق في اساطير النيل ومقدرته الإلهية في قهره للدخيل والغازي، والي يومنا هذا تجد دعوة معاوية هذه ودعوة الأمين علي مدني صدي قويا عنيفا في كثير من اعمال ادبائنا وقصصيينا .  
والمحجوب كذلك يحمل المشعل متقدما فخورا ببلاده «وأي بلاد فيها

من السحر والخرافة والكيجور وفيها من بساطة البادية وطيب النفوس والخواطر وصدق الايمان مثل بلادنا، سبحان ربي، قد وهبتنا ما نخلق منه ثروة وفخراً لانفسنا ولكننا نأبي إلا ان نقلد غيرنا ولا نحسن التقليد .

ومن حملة المحجوب هذه استفاد كثير من أدبائنا الشباب وطوروا دعوته في أعمالهم القصصية وفي دعواتهم التجديدية كما هو واضح في قصص مصطفى مبارك وعثمان احمدون ومحجوب عمر باشري والطيب صالح وغيرهم ، أن طبيعة التطور من المحتمل ان تكون قد نبهتهم الي هذه الموضوعات ولكن هذا لا ينفي ان الدعاة الي تناول مثل هذه الموضوعات قد عاشوا قبل اربعين سنة مضت أي قبل (١٩٦٨م).

ان الدعوة شئ والواقع شئ آخر وقد اصطدمت جميع هذه الدعوات بالواقع وكان قاسياً علي الأدياء ولا يزال ، فالقاص لا يزال عاجزاً عن تناول مادته الأدبية بحرية ومراحة وقد كان الرواد أشد ضيقاً وخوفاً من اجيال اليوم (١٩٦٨م) فقد كانوا يخشون أن تستثير أعمالهم أحداً فيظن نفسه صاحب الواقعة، ولذلك كان يلجأ بعضهم إلي التوقيع بإسم مجهول ويذكر بلداً مجهولة وأشخاص وأحداثاً مبهمه ، والجمهور غير متسامح لا في المسرح ولا في القصة وقد جأر الأدياء بالشكوي منذ القدم .

وتجنباً للواقع ومن ولهم بالتحديد فقد كان كثير من الأدياء الشبان

يلجأ إلي تصور عالم خيالي ويستمد شخوصه وأحداثه وأوصافه من ثقافة مكتسبة، فازواجية المثقف السوداني بين واقعه وتطلعاته جعلت معظم أعمالهم القصصية تتسم بعدم العمق والتسرع في رسم الأحداث والتركيز علي موضوعات غير جوهرية وليس فيها سمة الديمومة والاستمرارية ولعل ذلك ينعكس بصورة واضحة في كتاب «موت دنيا» للمحجوب ومحمد عبد الطليم. لقد عارض القراء الحب في القصص والروايات ولذلك استبدله الادباء بحب البادية حيث كان اعتقادالنقاد أن الحب هو البراءة في الأرياف وليس في حب المدن الزائفة، ومع الحب البدوي لجأوا إلي وصف الوديان الجارية وأشجار النخيل الباسقة الاعناق وخيام الشعر، كما وجدوا في تاريخ الأجداد مادة خصبة يصورونها تخفف علي أنفسهم وتكسبهم عزاء عن الواقع العاجزين عن مسه أو تصويره .

فكانت قصص الأشعار والمغامرات وقصص البادية كما تنعكس في قصص تاجوج ومطلق وقصص بدوي ناصر وحسن حافظ وخالد محمد خليفة وحسن محمد يس والسماحي من كتاب الثلاثينيات .

رغم هذه الاتجاهات التي حكمت حركة التطور في مجال القصة القصيرة إلا أن الواقع كان يفرض نفسه بصورة ملحة علي كثير من الادباء الذين تمكنوا من الاطلاع علي الآداب الغربية ووقفوا علي الأدب العربي الحديث وساهموا في نهضته وتطوره ومن أولئك معاوية محمد

نور الذي اطلع علي الأدب الروسي فلجأ الي تصوير ضحايا المجتمع في قصصه وركز غيرهه من الكتاب أيضاً علي تصوير الفقراء والمساكين والسذج الذين يتصرفون بصورة تلقائية دون أن يدروا عاقبة هذه التصرفات ومن اولئك الكتاب ابي حجاج وبشري السيد أمين وعرفات محمد عبد الله وسيد الفيل وغيرهم .

ولدي كتاب أكثر حداثة ممن عايشوا حركة النضال الوطني بعد الحرب العالمية الثانية أصبح الواقع لا يعني إلا الواقع السياسي أمثال محمد سعيد معروف والزيبر علي وخوجلي شكر الله وغيرهم الذين رأوا في القصة أداة للاحتجاج الضمني والصريح واتخذوها قالباً لعرض أفكارهم ومواقفهم السياسية والاجتماعية إما بنقد العلاقات القائمة بالمجتمع والمعوقة للتطور والتقدم أو هجاء المجتمع بتصوير ضحاياه من المظلومين والفقراء والضعفاء الأبرياء أو تصوير الدخيل الأجنبي وما أحدثه من تغيرات في العادات والتقاليد والقيم التي انعكست بدورها علي الواقع الاجتماعي فكانت نتيجة ذلك آلاف الضحايا .

لقد فهم بعض الكتاب أن الواقع لا يعني غير الواقع الحرفي للأحداث مع إجراء تحريف وتعديل في الأسماء للتويه . ذلك ان القراء وخاصة في الثلاثينات كانوا لا يحترمون الخيال ولكنهم يخشون الواقع والكتابه عنه .

لقد كان كتاب القصة ونقادها منذ البداية يحاولون تقديم مفهومهم

للواقع حتي يكون ميسرا للقراء، فالواقع عندهم كما يقول معاوية محمد نور هو عمل الخيال والفن في الانتقاء والترتيب والنقص والزيادة وطريقة التناول والأسلوب والشخوص والأحداث .

إن الحركة النقدية كانت حريصة وواعية ومتعمقة إلا أن حركة الأبداع كانت عاجزة عن مسيرتها أو تلبية متطلباتها وقد كان البعض يري في النقد انه حقد وتشف ومنطلقات شخصية أكثر منها موضوعية أو حرصاً علي تطور الفنون الأدبية بمختلف أشكالها .

لقد ظلت القصة القصيرة تعاني من اقحام المقدمات والسرد الطولي الرتيب بأوصاف جانبية وتدخّل المؤلف في الاحداث ومخاطبة القارئ والتمسك بجعل القصة أداة للموعظة وإسداء النصائح والحكم . لقد عجز الكتاب في الكثير من أعمالهم عن خلق شخوص نموذجية في القصص السوداني ولعل الطيب صالح هو أول كاتب سوداني استطاع أن يجد من الشخوص ما يمكن ان تصبح نماذج أدبية لشخوص القصة السودانية .

فمعظم الكتاب يقدم لنا شخصيات باهتة ويعجز عن رسم أبعادها النفسية، والشخوص التي توصف وخاصة المرأة توجد لها قوالب جاهزة معدة في عبارات إنشائية براقة يعتقد الكاتب أنه خدم بها غرضه وأهدافه الانسانية أو الوعظية أو الداعرة أحيانا .

كما ان الشخصيات المسطحة تستقبل في معظم القصص العالم

الخارجي بمستوي واحد من الوعي هووعي القاص في البداية والنهاية .  
لقد كانت القصة السودانية في تطورها متأثرة بصورة مباشرة  
بالاتجاهات والمدارس الأدبية في العالم العربي في القصة الواقعية بعد  
أن توقفت في الثلاثينات نتيجة لظروف الحرب العالمية الثانية والظروف  
المحلية إلا أنها كانت تظهر في أعمال بعض القصصيين بصورة غير  
واعية لنور القصة الاجتماعية ، ولكنها علي كل حال مسيطرة لبداية تطور  
المجتمع السوداني بمختلف طبقاته وبروز طبقات جديدة، وقد بدأ الاتجاه  
الواقعي الاشتراكي حركة لا واعية ولكنها كانت ضئيلة اذا ماقورنت  
بغزارة الانتاج الرومانسي وبالتدريج بدأت القصة الواقعية تحتل مكانتها  
في الصحف الادبية، وساعد علي ذلك وفود تيارات ثقافية وأدبية جديدة  
علي السودان عن طريق انفتاح الأدباء السودانيين علي الثقافة العالمية .  
وأول عمل يمكن أن يعتبر بداية جادة للتيار الواقعي والاشتراكي في  
الأدب السوداني هي المذكرات التي كان ينشرها عبد الله رجب علي  
صفحات الملحق الأدبي لجريدة الصراحة تحت عنوان «مذكرات أغبش»،  
وبالرغم من أن هذه المذكرات عبارة عن سيرة ذاتية لحياة الكاتب إلا أنها  
تحلت بروح شعبية وعرضها كان بسيطاً وعميقاً وصادقاً، ومن هنا  
اكتسبت إمكانية تأثيرها علي القراء علي مختلف مستوياتهم وهي تقترب  
من وجدان الشعب وتتعمق نفسياته وتعكس آماله وتطلعاته .  
والفرق بين مذكرات أغبش وموت دنيا واضح، وهموم كل كانت

واضحة، فأسلوب الكاتبين مختلف، فبينما يتمسك المحجوب وعبد الحليم بالسرد الطولي والعربية الفصحى، فإن أسلوب عبد الله رجب يتميز بالهدوء والخلو من المبالغة والتحويل، كما أنه أسلوب يزواج بين السرد والطرائف والملح، ويعرض حياته كما هي، وفي لغته يستخدم اللهجة العامية وأمثلتها ومناسباتها في الأفراح والأحزان، يوردها ولا تبو نايبة علي السياق ويتمتع بكل طاقاتها الايجابية. ومن أولئك الكتاب الذين كتبوا القصة القصيرة والواقعية بعد الحرب العالمية محمد سعيد معروف وخوجلي والزيير ، وفي انتاجهم القصصي نجد لأول مرة سمات الإلتزام بالطبقات الفقيرة والتركيز علي تصوير حياتها وما تعانيه هذه الطبقات من ظلم اجتماعي ، وهم بذلك يفضحون الوضع القائم وعن طريق تصوير مفسده يحاولون إيقاظ وعي الطبقات المسحوقه لنيل حقوقها وتغيير واقعها المر الذي تعيش فيه ، وتتميز قصصهم أو تختلف عن قصص الرومانسية المعاصرة لها بأنها تخلو من عالم المرأة كمحور تنور حوله القصة، وفي قصصهم تصبح المرأة جزءا من مجتمعا ومن طبقتها الاجتماعية .

ان معظم القصصيين السودانيين في أوائل الخمسينات قد اقتصروا في أعمالهم الأدبية علي تصوير مدينة الخرطوم كما أن أعمالهم في معظم الأحوال كانت تخلو من الأبعاد النفسية والنماذج البشرية الموحية ، فالتصوير مباشر واستخدام الرموز والاسطورة والايحاء بمعناه الفني

يكاد يَكُون معدوما .

ولعل اول مدرسة حاولت الخروج من حيز الخرطوم لتعكس قضايا الأقاليم في قصصها وتصور البسطاء من أبناء الشعب هي جماعة أصدقاء نهر عطبرة، وقصص هؤلاء الكتاب كانت تصور حياة العمال بمدينة عطبرة والتي الطبقة الكادحة كانوا يتوجهون لذلك كانت السمة الوعظية لكثير من قصصهم واضحة، كما أن الطابع التعليمي غالب عليها. هذا الاتجاه الي الريف السوداني تعمقه كتاب آخرون لهم سماتهم الفردية والمشاركة منهم علي سبيل المثل عثمان احمدون والطيب صالح ومصطفى مبارك وغيرهم .

اتجه كثير من الكتاب إلي الأساطير والخرافات والسحر التي تحكم البيئات الاجتماعية المختلفة في السودان، ومن خلال مواقف يقتطفونها من الحياة يحاولون ايجاد تفسير لهذه الحياة محاولين نقد هذه الخرافات وتوظيفها ادبيا توظيفا لا شنوذ فيه ولا نتوء. والموعظة والحكمة وموقف الإلتزام الصارخ يكاد يكون معدوما في أعمال هؤلاء الأدباء .

وعلي يد بعض الكتاب تطور الاتجاه الوجودي في كتابه القصة السودانية الذين اتخنوا من الريف السوداني بحكاياته واساطيره واحلامه محورا لقصصهم والمدينة بغي وجهها قبيح عندهم أجمعين، والصدق غير متحقق في عالمنا والمثقفون مثل مدينتهم انهزاميون خائرون وخواء جيف مثل مدنهم التي يعيشون فيها .

## اصول الدعوة للأدب القومي في السودان ١٩١٨ - ١٩٤٠ م\*

عندما نفي رئيس تحرير جريدة « رائد السودان » الاستاذ مصطفى قليلاطي أحد أبناء سوريا بعد أن نشر مقالا إصلاحيا يمس فيه الادارة الإستعمارية ، كما سبق، تولى تحريرها بعده السيد حسين شريف ، وبما أن الصحيفة كانت ملكا لأحد التجار اليونانيين في الخرطوم ، وكانت الوحيدة في البلاد ، وكانت الطبقة الوسطي السودانية النامية في هذه المرحلة تبحث وتعمل بجد لامتلاك وسائلها ، فإن حسين شريف أخذ

ينادي بقيام صحافة سودانية «فشعب لا جريدة كقلب بلا لسان» (١)

ويجهد وجهد البرجوازية التجارية الناشئة نشأة متعثرة في المدن أنشأ « حضارة السودان » وفي مرحلة تحول الطائفية الي موالاة السياسة الانجليزية ، تحولت حضارة السوادن الي جريدة سياسية بعد أن كانت أدبية اجتماعية اخبارية ، وهكذا آل أمرها لأن تكون « لسان السودانيين المواليين لسياسة الحكومة» (٢)

أما الأدب فقد أصبحت تنشر ما يوافق هواها وهوي المشرفين

---

١ - حسن نجيلة ص ١٩ .

٢ - نجيلة ص ٣٣ ، سليمان كشة ص ١٦٠ .

\* نشرت بمجلة الثقافة السودانية، ع ١٣، السنة الرابعة فبراير ١٩٨٠م.

عليها<sup>(١)</sup> وهم من التقليديين فكراً وسياسة ، فلا هي خطت من المرحلة التي وقفت فيها الرائد ، ولا هي أصبحت لساناً حقيقياً يعبر عن روح الأمة السودانية ، فاستخدمتها الرجعية سلاحاً للتشهير بالمناضلين .

ظلت جريدة « حضارة السودان » الصحيفة الوحيدة في البلاد التي تنشر من القصائد ما يمدح به الانجليز ، أو ما يقال في المناسبات كما أن موقفها من ثورة سنة ١٩٢٤ جعل كثيراً من الأدباء والشعراء ينصرفون عن نشر أعمالهم علي صفحاتها كما سبق توضيحه، فقد كتب أحد محرريها يقول «الخطة التي سرنا عليها منذ المبدأ خصصنا باباً للمقالات والقصائد كي نشجع الكتاب والشعراء وتنشيط الأدباء جميعاً سعياً منا وراء ايجاد قوة قلبية نستعين بها علي خدمة البلاد في سائر نواحي الحياة .

خذ مثلاً باب الأدب فاننا فتحناه ليكون حافلاً بالمباحث الأدبية التي يجد فيها المتأدب درسا وفنا والقارئ لبا وطعما ، فيطالع فيها دروساً قصيرة عن مشهوري الشعراء وشعرهم ومقارنات موجزة بين الأدب الأموي والعباسي أو بين شعراء الدولتين أو بين شاعرين مشهورين ، ويقرأ فقرات مختصرة عن الأدب العصري ولحات عن آراء أنصار الأدب القديم والحديث، ولكننا نأسف اذا قلنا أننا لم نتناول فيه حتي الآن غير

---

١ - نجيلة ص ٣٣ .

قصائد المدح أو الخيال ووسائل الوصف أو الأغراض المبهمة، علي غير منظومة ولا مكتوبة بلغة تسوغ نشرها من جهة الفن»<sup>(١)</sup>

ولعل أهم كتاب نثري ظهر في هذه المرحلة «العشرينات» هو كتاب الأمين علي مدني «أعراس ومآتهم» كما سبق وقد نشرت أجزاء منه بجريدة حضارة السودان - كما أن له نقدا للشعراء التقليديين في هذا الكتاب عدل الناشر عن نشره ، ولعلمهم هم كذلك كانوا يخشون القوي التي أرهبت الأمين وعزلته عن مجال الحياة العامة وقتلته شابا في ريعان الشباب ، لقد كان ما فعله المشرفون علي نشر الكتاب خطأ منهجيا لا يغتفر وسبقاً أو بدءاً في تاريخ الأدب والنقد السوداني كان له أثره علي من جاء بعد الأمين من النقاد كما سبق فاتسم تقدمهم بالعمومية والمجاملة . لقد رسم الأمين طريقا كان أجدر بالذين جاوا بعده أن يعمقوه وينشروه علي أوسع مدي ممكن، والأمين في نقده هذا كما يقول حسن نجيلة يترسم طريق العقاد والمازني وشكري في تقدمهم لشوقي ، حتي أن الأمين يجعل من البنا أمير الشعراء كشوقي<sup>(٢)</sup>

والكتاب أصدره أصدقاء المؤلف وعلي رأسهم سليمان كشة الذي قدم للكتاب. وقد كتب الأمين علي مدني ترجمة غير كافية لشخصيته، وكل ما

---

١ - حضارة السودان - ٢١ / ٧ / ١٩٢٧ - الافتتاحية - كلمة لا بد منها لكتابتنا وشعرانا.

٢ - أنظر حسن نجيلة ٢٢٩ .

نعرفه عنه أنه ولد فقيرا ولم يكمل دراسته واشتغل بالتدريس، وهو لا يطمع في مال ولا ولد، ونشعر من خلال كتاباته أنه كان يتحدي قومي أكبر منه وهو يبشر بدعوته التجديدية في الأدب السوداني<sup>(١)</sup>. فهو وإن كان نقد شعراء التقليد من السودانيين فإنه أوضح الطريق أمام الناشئين لكي يستفيدوا من دعاة التجديد والمجددين في الأدب العربي. «حقا إن شعرائنا وأدبائنا لم يصلوا بعد الي درجة الابتكار بل هم الآن في دور التقليد، فاذا كان التقليد واجبا من واجبات الحياة ولازما من لوزام النشوء والارتقاء»<sup>(٢)</sup> فيجب علينا أن نقلد رجال النهضة الأدبية العصرية وأن نقفقي أثر الأدب العصري ، فنحن في حاجة الي كتاب «مقلد» يقلد الأستاذ العقاد في فصوله ومطالعاته لا عبد الحميد الكتاب . في حاجة الي أديب يقلد الاستاذ كامل كيلاني في نظراته ، هذا وإن كان لا بد أن نقلد فلنقلد هؤلاء وماشاكلهم من رجال النهضة الأدبية العصرية»<sup>(٣)</sup>

رغم هذا وإيمانه الجزئي بالتقليد «العصري» فإنه لم ينج من تزمتم المحافظين الذين كانوا يتهمونه بالجنون والهستريا حتي أطلقوا عليه الجنون. وهو يعترف بجنونه ويفاخر به، فقد كان هو العاقل الوحيد

---

١- انظر - الأمين علي مدني - أعراس ومآتم ص ٦ .

٢ - نلاحظ أن المصطلحات العلمية الحديثة الفلسفية بدأت تغزو أساليب الأدباء السودانيين - النشوء والارتقاء - نظرية دارون.

٣ - الأمين علي مدني ص ٧٣ .

بينهم، وهو يبحث عن حرية فردية في أسلوب شاعري حالم، يشبه نفسه بالطائر الذي يطير بأجنحته « الأثيرية » في الفضاء مطلقا في سماء الحرية مترنما باناشيد الوقت ، منصرفا أذني عن أغنية الماضي وعن ألحان المستقبل فأنا شاعر الساعة<sup>(١)</sup>

لا يكفي بذلك ولكنه يثور علي الأشكال الأدبية التقليدية ثورة أودت به قبل أن يودي بها .

أنا شاعر بلا قيد ولا شرط لا أعرف الوزن ولا أجيد القافية ولا أستطيع أن أحرق بخورا امام عظمة الأمراء وأبهة الأغنياء وتيه الوجهاء .. وأنا شاعر مجنون .»

لقد ثار الأمين علي الاسترزاك بالشعر ولكنه لم يجد يدا تشد من أزره أو تقف الي جواره « أنا الشاعر المجنون وهم الشعراء العقلاء ! لأنني أطير بأجنحة غير أجنحتهم وأطلق في فضاء غير فضائهم وابتسم وهم يبكون وأبكي حيث هم يرقصون ويعزفون وألبس السواد في أعراسهم<sup>(٢)</sup> وأقيم المآتهم في أفراحهم .

ورغم ما يظهر لنا من تشاؤمه وضيقه بالآخرين الا أنه مغرم بالطبيعة وفيها يجد مسلاته «أنا شاعر مجنون أسكب نوب شعوري أمام ابتسامه

---

١ - نفس المرجع ص ٦ ، ٧ .

٢ - الأثر الثقافي الخارجي واضح هنا لأن السودانيين يلبسون الأبيض في حدادهم وحرزتهم :

الزهور ونضارة الورد وغناء الطيور علي ضفاف الجداول فأغني صوتا  
يطرب المجانين ويرقص المجانين ويستميل قلوب المجانين»<sup>(١)</sup>

والكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات الأدبية والنقدية والخواطر  
الذاتية ويظهر في هذه المقالات الاضطراب الفكري عند الأمين علي مدني  
، فهور يدعو الي الحرية المطلقة، وأحيانا الي المحافظة علي القيود  
الاجتماعية ، يري أن الدنيا دار فناء وهو لا يعمل من أجلها شيئا ولكنه  
يحبذ الجد والاجتهاد والعمل في سبيل الوطن ، وفي مقالاته عن المرأة  
نراه محافظا يقترب في محافظته من حدود التزمته ولكنه يحمل المجتمع  
ما يلحق بأفراده من مآسي الحياة .

وخواطر الأمين ومقالاته مغرقة في رومانسيتها، من خلالها تتبين لنا  
روح الأمين المرهفة الاحساس، والتواقة الي حب شئ مجهول لم يجده ،  
وحاول تحقيقه من خلال الثورة علي القهر الاستعماري والاجتماعي  
فشارك في الاعداد لثورة ١٩٢٤ التي كان مصيرها الفشل .

هذا والمقالة الوصفية قليلة في الأدب السوداني عموما وان وجدناها  
فإننا نجدها قد سادت علي قلتها وقلة الانتاج الأدبي في الفترة التالية  
لثورة سنة ١٩٢٤ أو فترة ضياع المتعلمين نتيجة لما لاقوه من عنت  
واكراه وتمزيق لوحدتهم، ألجأت بعض الشعراء الي الزهد والتقشف في

---

١ - الأمين ص ٧ .

الحياة ، وألجأت آخرين للهروب الي تاريخ الأمة العربية والاسلامية  
المجيد، وبعضهم لقي في البداية السودانية خير ما يعوض به عن وحدته  
، وآخرون وجدوا في « دارفوز» واحة يستريحون بها وينفسون عن  
ضيقهم .

ولقد كانت السنوات ما بين « ١٩٢٤ - ١٩٣٦م» سنوات ضيق وتبرم  
وثورة علي الحياة والأحياء أو حب للحياة والأحياء سرعان ما يكشف عن  
خلفية صاحبه اليائس من الحياة والأحياء، تتعكس هذه المواقف في  
كتابات كثيرين منهم كالمحجوب والتجاني، فبينما نجدهما مغرقين في  
الذاتية أحيانا، فاننا نجدهما في أحيان أخرى يرتفعان الي حد التصوف  
في نظرتهما للحياة .<sup>(١)</sup>

يقول المحجوب في مرحلة شبابه وثورته الرومانسية علي الأشكال  
الأدبية « والفنان الحق من يجد مثله الأعلى وبغيته في الوجود في التعبير  
عن تجاربه ، غير حافل بالأوضاع والقوالب التي ينصب فيها ذلك التعبير  
أو بالوسائل التي تتسرب فيها تلك التجارب ومن هنا كان ولعنا  
بالافصاح عن تجاربنا والتعبير عن مكنون أفكارنا ونحن ايفاع لم  
نتجاوز الخطوة الأولى من تعليمنا الثانوي ، واني لأذكر تلك المقطوعات  
التي تضمنت نغثات الحب الأول وخفقات القلوب التي بدأت آنذاك تتفتح

---

١ - أنظر هنري رياض - التجاني يوسف بشير شاعراً وناثراً - دار الثقافة بيروت

للحياة والحب والجمال واني لأذكرها وأردها مرة في سخرية من عبث الصبا ، وأخري في اعجاب، فعلي علاقتها كانت افصاحا عن تجاربنا المحدودة وتعبيرا عما يجول بخواطرنا من تقدير للجمال والحب والأريحية وكل نبيل من الصفات الانسانية<sup>(١)</sup>

أما التجاني فإنه بالاضافة الي تأثره المباشر بمدرسة أبوالوفان هناك أوضاعا داخلية واجتماعية وذاتية جعلته رومانسيا ثائرا متشائما متصوفا يرفض الالتزام بعمود الشعر ، فيرفض التقيد بعروض ويحور الخليل ، كما أن الشعر عنده يجب أن يتناول جميع العواطف ولا يقتصر علي عاطفة نون الأخرى ، والشعر عنده قد لا يصدر عن فكرة ولكنه قد يصدر عن شيء مبهم. ولذلك فإنه يهتم بالشكل ويدعو للتركيز والايحاء ، وعنده أن الشاعر الجديد يتطلب ناقدًا جديدا .

معظم الأدباء من النقاد والشعراء والقاصيين لم يسيروا في ثورتهم هذه بعيدا وسرعان ما اطلعوا علي نوع جديد من النقد والعدوات الاجتماعية التي واجهت الأدب والأديب في الحياة فبدلا من التركيز علي التكلم عما يعانونه من ضيق وتبرم بالحياة في مقالات وصفية تبعد عن الواقع الاجتماعي فانهم اتجهوا الي النقد الأدبي والتوجيه وكتابة ما يعالج الواقع<sup>(٢)</sup>

---

١ - موت دنيا - ص ٤٩ .

٢ - نفس المرجع - ٣٠٠ - ٣٠١ .

واصلت الحركة النقدية تطورها علي صفحات جريدة حضارة السودان علي يد حمزة الملك طنبل وذلك سنة ١٩٢٧م فقد كتب مقالات جمعها في كتيب عنوانه « الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه » سنة ١٩٢٨م، وقد حمل فيه علي الشعراء التقليديين في تقليدهم للقوائد العربية التقليدية ، ولكن عذرهم لأن بيئة السودان تشبه بيئة جزيرة العرب ؛ أما عيوب شعرهم فإنه يهتم بالمبني لا بالمعني . ودعا الي ارتباط الشاعر بالبيئة السودانية وأن يستمد صورته واخيلته منها .

كان الأدب السوداني التقليدي والذي يتمثل معظمه في شعر الشعراء التقليديين وأغراضه من مدح وهجاء وفخر وغزل ووصف عاجزا علي أن يفي بحاجات الأدباء والباحثين والمصلحين الاجتماعيين ، فاتجه هؤلاء الأدباء الي مصادر الثقافة الحديثة .، وان لم يقطعوا الصلة بينهم وبين الأدب العربي في عصوره القديمة ، ولكنهم كانوا يبحثون عن الأدب المتصل بالحياة والذي يعمل علي تطويرها ويتفاعل معها، ويتطور بتطورها ، فكان خير معين لهم الأدب الحديث (١) ،

وكانوا يقرأون ما ترجم من آداب اللغة الانجليزية وما ترجم إليها من الآداب الأوربية الأخرى .

ومن هنا ظهرت دعوات التجديد في الأدب السوداني . فقد نظر

---

١ - موت دنيا - ٥٠ ، ٥١ .

الأدباء الي ما عندهم من أدب فوجوه خلوا من الأجناس الأدبية الغربية التي وفدت علي العالم العربي وقطعت كثير من البلدان العربية شوطا بعيدا فيها كما سبق توضيحه، فكان الأدب السوداني يخلو من القصة القصيرة والرواية والمسرحية كما أنه لا توجد هناك ترجمات عن اللغة الأجنبية لهذه الفنون .

وقد اتصل السودان بالعالم العربي من خلال الصحف ومن خلال الرحلات والأسفار وكانت مصر منبعاً ثرا، وموجها قويا للأدب السوداني التجديدي كما يقول الدكتور عبد المجيد عابدين<sup>(١)</sup>

عرف أدباء السودان السياسة الأسبوعية - والبلاغ الأسبوعي ، والرسالة والهلال - كما أن السودانيين كانوا يقبلون علي قراءة الكتب التي يولفها المصريون ويتسابقون في إقتنائها .

يقول الأستاذ محمد أحمد محجوب «وقد تأثر الجيل الجديد من أدباء السودان بكتابات لطفي السيد وزكي مبارك وهيكل والمازني ومحمود تيمور ومحمود طاهر لا شين وغير هؤلاء من كتاب النهضة الأدبية في مصر، كما قرأوا الأدب الانجليزي وترجموا عنه، وقد أحدثت هذه لتحسينات في الأساليب وتدقيقا في البحث واشراقا في الديباجة»<sup>(٢)</sup> .

وكتب حيدر موسي «ان أدب السودان يسير وراء الأدب المصري

---

١ - تاريخ الثقافة ص ٢٣٩ .

٢ - الحركة الفكرية ص ٢٧ - ٣٢ .

ويتبعه خطوة خطوة نظرا للجوار والتشابه والأخلاق والعادات وغير ذلك من الأوصاف التي فرغ رجال التاريخ من سردها ووقفوا في ذلك توفيقا عظيما ولذلك أود ألا أكرر لأن التكرار تمجده الأنواق السليمة».

ويقول موجها حديثه لأدباء مصر « أجل اننا نسير وراكم ونحاكيكم كما يجاكي الطفل أخاه الأكبر . لكن سيرنا ببطء وبخطوات متزنة لأننا نخشي الكبوة ولنأمن سوء العاقبة . أن صحفكم علي اختلاف أنواعها ومذاهبها مقروعة لدي كل الطبقات في المدن الكبيرة ويطالعها المتعلمون في القرى وللصحف الأدبية الراقية التي تبعث إلينا بها مطابعكم المحل الأول ، فترى الشبان كانوا يتأبطون « السياسة الاسبوعية » في إبان حياتها ، وعندما اختفت وظهرت « الرسالة » وسدت الثغرة تهافتوا عليها وخطبوا ودها<sup>(١)</sup> ويقول عرفات محمد عبدالله « أن موضوع الرابطة الأدبية بين قطرين شقيقين شريكين في السراء والضراء مرتبطين برباط مثلث من الدين واللغة والجوار لن يزيده الزمان إلا قوة مهما جهل أبناؤهما أو بعض أبنائهما حقيقة ذلك ومداه»<sup>(٢)</sup> .

ويقول كاتب آخر « نحن اذا تتبعنا العوامل التي أثرت في هذه

---

١ - مجلة الرسالة - ٣٠ مارس ١٩٣٦ - الحركة الفكرية في السودان - حيدر موسى ص ٥٠٤ .

٢ - مجلة الفجر عدد ١٢ الافتتاحية وأنظر عابدين - تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٢٣٩ .

الحركة وجعلتها تستفحل وتكتسح كل ما أمامها بقوة ، سادرة في طريقها لا تلوي علي شئ ولا تقف دون عقبة وهي :-  
أولا :

الجرائد والمجلات المصرية التي تعمرنا بسيلها الجارف من طريق مصر ولا شك في أنها أكبر باعث علي هذه النهضة بما تنشره من بحوث أدبية قيمة وآراء طريفة ناضجة في الآداب والتاريخ والاجتماع والفلسفة ، وهي الآلة الفعالة في تكوين عقول مستنيرة وقرائح مستقيمة بما توحيه الي النفوس من شغف التطلع الي فهم الحياة وتوجيه للتفكير للنواحي المجدية والطرائف غير المعوجة .

ثانيا :

السودان قطر عربي ، يتكلم العربية وهو يري أن السودانيين عرب اقحاح أكثر من غيرهم ، لأنهم يتقنون اللغة العربية ، وحتى أن الانسان يضحك عندما يسمع شاميا أو مصريا أو حجازيا يتحدث لأنهم يبترون الكلمات ويشوهونها<sup>(١)</sup> .

خلافًا للسودانيين الذي يجيدون نطقها ، فالأمة السودانية تغزوها

---

١ - كثير من السودانيين يعتقدون هذا الاعتقاد . ولكنهم يدهشون عندما يضحك المصري أو الشامي أو الحجازي علي لهجتهم العربية بمثل ما يفعلون هم .

روح عربية جارفة ووجدانها عربي (١)

هذان العاملان، عروبة السودان والصحافة المصرية هما السبب في ظهور النهضة الأدبية السودانية .

وقد خالف ناقد وموجه واحد جميع الكتاب ولكنه في نفس الوقت يناقض نفسه فأحيانا يثبت تأثر السودانيين بالصحافة والأدب المصري الحديث، ولكن محمد أحمد محبوب يذهب أحيانا أخري الي أن الأدب المصري الحديث عربي الثوب أما الروح فإنها أوروبية «فأنا عندما أقرأ لطف حسين أو هيكل فكأنني أقرأ لشتاوبريان أو أناطول فرانس وسانت بيف وجورج صند ، وعندما أقرأ للعقاد والمازوني فكأنني أقرأ لكاتب ألماني، أو أقرأ لهازلت وماثيو أرنولد» (٢) في النهاية هكذا وبكل بساطة

---

١ - حضارة السودان ٣ فبراير ١٩٣٢م الحركة الأدبية بقلم محمد عبد الوهاب القاضي .

٢ - عابدين ص ٢٢٩ ، ومن الغريب أن المحبوب وعبد الحليم ينهيان في كتابهما موت دنيا الي ما يوضح أن نفسيات الأدباء العرب عموما في هذه المرحلة وما يتعرضون له من متناقضات متقاربة تجعل مواقفهم متشابهة وأفكارهم واحدة ، وذلك بقولهما «وأحاديث تلك الليالي التي سبقنا إليها المازني فسجل خواطرننا في الحب والجمال في كتابه (ابراهيم الكاتب) فكانت حسرة لا تعقبها حسرة يوم قرأنا ذلك الكتاب وندمنا لأننا لم نسبق المازني الي تسجيل تلك الآراء . وماذا يهم اذا سجلها المازني أو سجلناها نحن ، المهم أن تخلد تلك الآراء في الأدب العربي «موت دنيا ص ١٢» .

يصبح الأدب المصري الحديث أدبا غريباً معروضاً في ثوب عربي ، ليس المهم الشكل وإنما المهم الجوهر وبهذا الجوهر الغربي للأدب المصري تأثر أدباء السودان، ولكن هناك عامل آخر أثر في أدباء السودان يذكره المحجوب في قوله «ويري المطلع علي بنود الاتفاقية الثنائية (١٨٩٨) أن أرجحية السيادة البريطانية ضمننت بحقها في اختيار الحاكم العام والاشارة بعزله وهو الذي يسن القوانين في مجلسه وهو بلا شك يعمل علي تنفيذ وجهة النظر البريطانية دون قيد ولا شرط ، فالاتفاقية لم تنص علي أي قيد . ومن هنا كان أن فتحت المدارس وغلبت عليها الثقافة الانجليزية وخاصة القسم الثانوي والاقسام العليا ، ولم يكن من محيد من انتشار آدابها ، وقد ساعد علي ذلك نشاط المطبعة الانجليزية وكثرة انتاجها في شتى العلوم والفنون وفي كثير من أغراض الحياة» .<sup>(١)</sup>

وبعد هذا يتحدث عن أن هؤلاء الشبان من الجيل الجديد قرأوا الموسوعات التاريخية ودرسوا الاقتصاد والمسوعات الأدبية وتأثروا بالأفكار والتخيلات الغربية وأخذوا يسمعوننا صدي ذلك في قصائدهم وانتاجهم « قرأوا الأدب المصري والأدب الغربي وكونوا آراء نقدية فيما يقرأون وكانوا يجهرون بآراء نقدية فيما يقرأون وكانوا يجهرون بآرائهم علي صفحات الجرائد والمجلات فتتولد ملكة النقد عند أدباء الشباب» .

---

١ - محمد أحمد محجوب - الحركة الفكرية - ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

وفي النهاية نخرج بأن جميع المؤثرات سواء أكانت مصرية أم  
انجليزية هي في النهاية غريبة ، فكيف استطاع أدباء السودان ونقادهم  
أن يجعلوا روح كتابتهم سودانية بينما عجز المصريون عن ذلك ! فهم الي  
الثلاثينيات كانوا يعكسون أدباء غريبا في روحه ! وما الذي يقصده  
المحجوب بأنه ليس هنالك ثقافة مصرية حتي يدمج فيها السودانيون  
ثقافتهم، هل يريد المحجوب أن ينفي وجود ثقافة سودانية أو مصرية  
علي حد سواء .

نتيجة للضغوط التي تعرض لها الخريجون بعد ثورة سنة ١٩٢٤ كان  
كثيرون منهم يتهيّبون مراسلة الصحافة المصرية فقد كان هذا العمل  
يعرضهم للتحقيق والتشريد وقد يبلغ هذا الحد الأقصى من العقوبة التي  
تطبق علي مرتكب مثل هذا «الاثم» فهناك تحقيقات كانت تجري بين  
الطلاب لمعرفة كاتب بيتين من الشعر ينشران في الصحافة المصرية ، بل  
قد يمتد التحقيق الي خارج البلاد حين يلقي أحد الطلبة خطبة فيعجب  
بها الحاضرون ولكن هذا يزعج الادارة الاستعمارية فترسل مندوبين  
عنها للتحقيق في هذا الأمر، خارج السودان وفي جامعة بيروت  
الأمريكية. (١)

وقد ظل توفيق أحمد البكري بمصر أكثر من سبع سنوات يطلب من

---

١ - أنظر حسن نجيلة ص ١٦٦ .

شعراء السودان أن يرسلوا له شعرا يصدره في كتاب كتماذج لشعر شعراء السودان ولكن لا يصله إلا النذر اليسير ، ويتألم توفيق ويلح في طلبه بون جدوي.<sup>(١)</sup>

وفي العشرينات بدأت كثير من الصحف والمجلات الدعوة لإقامة أدب قومي مصري، وبهذه الدعوة تأثر أدباء السودان وأول كاتب نجدها منعكسة عليه بصورة واضحة هو توفيق أحمد البكري، وذلك فيما كتبه ملحقا بكتاب الامين علي مدني «أعراس ومآتم» بعنوان زكري الأمين . يقول توفيق - بعد أن يدعو الي اقامة أدب منتزع من حياة السودان «وهناك تتحول الجهود كلها الي أن تكون لنا قومية سودانية وأدب سوداني قائم بذاته غير مأخوذ من غيره بل هو وليد الحاجة الماسة » ويرى الناس فيه وصف «العثمور» وغابات الجنوب وشعاب الجبال وغيرها، فإذا شاء القدر أن يكون كذلك فقد أن لنا أن نتفهم لذة الوجود كشعب يتوق الي جمال الحياة.<sup>(٢)</sup>

وقد تواصلت هذه الدعوة فظهرت في كتابات حمزة الملك طنبل ، ولعل أكبر حدث أدبي عكسته الصحافة المصرية هو ظهور الشاب

---

١ - السياسة الاسبوعية ١٦ أغسطس ١٩٣٠ - الي شعراء السودان . تكره ورجاء توفيق أحمد البكري.

٢ - في أيام الحكم العسكري ١٩٥٨ - ١٩٦٤م دعا بعض الكتاب والشعراء الي اقامة أدب عربي أفريقي وسموا جماعتهم «جماعة أو شعراء الغاب والصحراء».

السوداني معاوية محمد نور، لقد كان معاوية واضح الأهداف وأضح الشخصية متحمسا في أعماله مخلصا لسودانه ولوادي النيل الذي آمن به، لقد كان معاوية منذ البداية معاديا للسياسة الانجليزية في السودان ، ولم يخف ذلك منذ أن بدأ الكتابة ، فالأدب القومي الذي يبشر به باسم أدب وادي النيل إنما هو الأدب الذي يرفعه أدباء وادي النيل في وجه الدخيل المستعمر ، فدور المسرح القومي والأدب القومي ليس بالقليل في تحرير الشعوب ونيلها لحقوقها، لقد خلد أدباء ايرلندا بلادهم ومن علي خشبة المسرح خاطبوا ايرلندا وخاطبوا العالم أجمع.

«نقول كل هذا ونحن نعلم علم اليقين أن لهذا «النيل» عبقرية خاصة جديرة بالتخليد في العمل الفني العظيم، وأن لساكنتي هذا «الوادي» المبارك خصائص فكرية وشعورية خليق بها التعبير الفني في ثوب « الدراما» أو «القصة» ثم يذكر خلود النيل وأساطيره وقهره ودحره لكل غاز أو دخيل.<sup>(١)</sup>

لقد وجد معاوية مجالاً للكتابة في كثير من الصحف المصرية ، وخاصة السياسية الاسبوعية ، فقد كانت السياسة الاسبوعية مهتمة بالقصة القصيرة وكذلك مجلة الفجر المصرية وقد نشرت السياسة الاسبوعية بحوثاً وترجمات له وكان من أشهر نقاد القصة القصيرة علي

---

١ - فالسياسة الاسبوعية ١٢ اغسطس ١٩٣٠ فلسفة الدراما بحث في الأدب المسرحي معاوية محمد نور.

صفحاتها، كما أنه نشر علي صفحاتها بعض القصص السودانية ومجموعة المقالات الأدبية والنقدية الأخرى، كما كتب علي صفحات الهلال والرسالة .

كتب معاوية عن المسرح وعن الدراما وعن الشعر وصلته بالحياة وحدد موقفا من الشعر الرومانسي. ورفضه وهاجم شعراءه كأبي شادي وعلي محمود طه المهندس. كما كتب مقالا عن التراجم وكان من أهم ما كتب عن التراجم في حينه في أدبنا العربي علي النطاق القومي<sup>(١)</sup>

كما كان له المبادرة في إجراء نوع من التحقيقات الأدبية الصحفية، فقد أجري تحقيقا صحفيا مع الأديب الفرنسي «أندرية مورو» عند زيارته لمصر سنة ١٩٣٢ وسأله عن مستقبل القصة في العالم ، وعن مستقبلها في مصر فيما يتعلق بتصويرهم للبيئة التي يعيشون فيها.<sup>(٢)</sup>

ومن أهم كتابات معاوية في هذه الفترة هي كتاباته عن الأدب القومي الذي يمكن أن نسميه «النيلي» فقد كان يلح علي تصويره في أذهان الناس تصويرا دقيقا. «ونحن حينما نقول ذلك لا نعني أن يكون

---

١ - الهلال - أول أبريل ١٩٣١م السنة ٣٩ من التراجم - معاوية محمد نور ص ٨٦١ .

٢ - الهلال - الجزء السابع من السنة الأربعين \* ساعة مع أندريه موروا ، معاوية محمد نور ص ٩٧٧ .

لنا أدب محلي ضيق ولكننا نوده أدبا واسع الرحاب ، أدباً إنسانيا عالميا يساهم في الثقافة الانسانية ، ويقوم بنصيبه في نهضة العالم الفنية ، كما يصور نفس قائلية» (١)

وكتب مصححا مفهوم الأدب القومي الذي يدعو له، فقد وقع بين مدرستين تطرحان شعارا مختلفا عن شعاره ، مدرسة الفجر المصرية ، التي تدعو إلي إقامة أدب قومي مصري مستقل. ومدرسة الفجر السودانية التي تدعوا الي اقامة أدب سوداني مستقل عن الأدب المصري، الأدباء الذين يدعون الي القومية في الأدب يجهلون أبعاد هذه الدعوة ومعناها سواء في مصر أو في السودان كما يري معاوية فليس المقصود بالأدب القومي هو فقط وصف أو تصوير ما يخص أمة من الأمم والدفاع عن الأشياء التي يدافع عنها قومه ، ولكنه أن يكون الكاتب فنانا تمثلت فيه خصائص أمته الشعورية والفكرية فأبرزها في عمله حتي لو كتب عن متحف اللوفر أو أي أمة أخرى» (٢)

كان معاوية يكتب قصصا قصيرة في السياسة الاسبوعية تحت باب «صور وأقاصيص سودانية» وفي المقدمة التي كتبها لهذه القصص

---

١ - الهلال - أول ابريل ١٩٣١ - نفس المقالة .

٢ - السياسة الاسبوعية ٣٠ / ١٢ / ١٩٣٠م الأدب القومي فكرة فنية يجب تصحيحها معاوية محمد نور .

يوضح لنا المقصود بصفة سودانية « هذه القصص ليست بسودانية في  
معنى الكلمة المحدود الضيق، فهي وإن كانت حقا سودانية في شخوصها  
وجوها واحساسها وأن خصائصها الفنية، خصائص سكان هذا النيل  
المبارك وعبقرية وضعها هي عبقرية هذا الوادي الحزين، فهي من هذه  
الناحية من الأدب القومي الصميم . إلا أن العادات الطارئة والصبغة  
المحلية ليست بأساسها وإنما أساسها النفس البشرية والطبيعة الانسانية  
التي تعني برسمها وتصويرها تحت مؤثرات خاصة من الزمان والمكان  
والحضارة فهي علي هذا الأساس من الأدب العالمي»<sup>(١)</sup>

وفي قريب من هذا المعنى كتب المحجوب يقول « ولي كلمة هنا عن  
القصة والرواية أتقدم بها الي أبناء هذا البلد وذلك لأننا في أول الطريق  
وبلادنا عذراء وفيها من صور الحياة ومثلها ما لا يتوفر عند الأمم  
الأخري وفي وسعنا أن نجعل منها مادة للكتابة تبدع فيها وتنفرد  
بالابداع فيها واذا قرأتها الأمم الأخري وجدت فيها من عناصر الحياة ما  
ينفعها وعليه يكبر أدبنا ونمعن في دراسته لما فيه من التفرد والابداع.  
وأبي بلاد فيها من السحر والخرافة والكجور وفيها من بساطة البادية  
وطيب النفوس والخواطر وصدق الايمان مثل بلادنا، سبحان ربي فقد

---

١ - السياسة الاسبوعية ٣٠ / ١٢ / ١٩٣٠ الأدب القومي فكرة فنية يجب -  
تصحيحها معاوية محم نور.

وهبتنا ما نخلق منه ثورة وفخرا لأنفاسنا ولكننا نأبي إلا أن نقلد غيرنا  
ولا نحسن التقليد»<sup>(١)</sup>

وفي ٢ يونيه سنة ١٩٣٤م، صدر أول عدد من مجلة الفجر «١٩٣٤-١٩٣٦م» في ظروف سياسية وأدبية أكثر ملاءمة من الظروف التي صدرت فيها مجلة «النهضة السودانية»، فقد خفت الإدارة الاستعمارية من قبضتها وأعاد الإداريون ثقتهم في المتعلمين، وقربوهم إليهم وشجعوا دعاة الأدب القومي، فتما هذا الشعور وخاصة عند أولئك الأدباء المتحمسين لاستقلال الثقافة السودانية عن الثقافة المصرية، وفي هاتين السنتين بين توقف «النهضة» وظهور «الفجر» نضجت تجارب الأدباء واتسعت مداركهم، وازداد الوعي القومي بقضية السودان، فظهر المسرح القومي وشق طريقه، كما بدأت التيارات السياسية تتصارع في الخفاء، وازدادت مطالبة الأمة بحقوقها .

رأس تحرير مجلة الفجر عرفات محمد عبد الله، وكان من كبار كتابها محمد أحمد محبوب الذي لمع اسمه علي صفحاتها كناقد وموجه للحركة الأدبية في السودان، وواصل كل من عبد الله عشري ومحمد عشري الكتابة علي صفحاتها، فقد كانت الفجر امتدادا فكريا وأدبيا لمجلة النهضة السوانية .

---

١ - المرجع السابق ص ١٣ سبتمبر ١٩٣٠م - صور وأقاصيص سوانية و (ابن عمه).

وتفكير عرفات يختلف تماما عن تفكير زميله المحجوب تجاه الثقافة المصرية؛ فبينما ينكر المحجوب الصلة الثقافية بين الشعيين السوداني والمصري، ويثبت عرفات هذه الصلة وهي صلة لا يمكن إنكارها وهي تقوم علي أساس الدين واللغة والجوار ، ولذلك نجده عندما يقدم لها في أول عدد من أعدادها يبدو أكثر انفتاحا في تفكيره وتحيرا مما كان يطرحه المحجوب بالمقابل، يقول :-

« وهذه بعد صحيفة الأدباء والشعراء والمصلحين من أبناء هذه الأمة ومن أبناء الأمم العربية الشقيقة جميعها ، يجدون فيها مسرحا رحبا لجولات أقلامهم ومعرضا لبنات أفكارهم ماداموا يرمون الي ما نرمي اليه من الإصلاح الأدبي والفني والخلقي ، ولكنها ليست صحيفة لدعاة الشقاق والنفاق ولا « لدجاجلة » السياسة بل لنصرة الأدب العربي ونشر نور المعرفة وقشع سحب الجهالة وإزالة أسباب التعصب والبغضاء التي نخرت في عظام أبناء الأمم الشرقية منذ فجر التاريخ وآمالنا وطيدة في أنها ستكون فجرا صادقا يتلوه صبح وضاح ونهار « مشرق »<sup>(١)</sup>

من تمازج الثقافتين، الغربية والعربية كان كتاب الفجر من الشبان يهدفون الي خلق ثقافة سودانية متميزة ، تصور حياة الشعب، وعاداته وتقاليده وآماله وآلامه. وأصبح الأدب عندهم وسيلة لاغاية في حد ذاته

---

١ - مجلة الفجر الجديد - العدد الأول - ٢ يونيو ١٩٣٤م - كلمة المحرر.

، وسيلة لتحرير الشعب وانطلاقه مما يعيش فيه من مخلفات وما تميزت به حياته من جمود وركود، وفي المقابل دعا الكتاب المتعلمون والمخالفون سياسيا لاتجاه مدرسة الفجر إلي التمسك بالأدب العربي التقليدي، فقد أعتبر هؤلاء أن الدعوة الي أدب قومي والي الابتكار والتجديد والتأثير بالآداب الغربية وترجمتها، انما تعني القضاء علي الثقافة العربية والتمكين للثقافة الانجليزية في السودان. فآثاروا حول مجلة الفجر الكثير من الشكوك التي لمسها عرفات محمد عبد الله، ورد عليهم بقوله :-

« وأري من الخير أن أجيب علي بعض « التهم » ان لم أجابه بها الآن فقد لا كتبها الألسنة في بعض المجالس ، وهي أن هذه المجلة بأسم التجديد تريد أن تطمر القديم من الأدب العربي بخيره وشره، وأنها انما خلقت لتخرق خرقا في تاريخ العربية وتحدث بدعة غير مستحبة تشبها بأدب الفرنجة وفن الفرنجة وتشبها بأخلاق الفرنجة ، فأقول الآن لهؤلاء ولمن يفهمهم، ليس معني التجديد الهدم والتدمير وأن الآداب والفنون لا تستطيع مطلقا أن تهمل القديم أو تتناساه وأن التراث العربي الغني المخصيب سيجد من عنايتنا ورننا ما تصل إليه طاقتنا، كما أننا نود أن نؤكد لهم أن الآداب الأجنبية لا مندوحة عن قراءتها ودرسها، وأن أول أعمالنا حقا علينا معالجة مشاكلنا الخاصة قبل أن نتصدق علي الأغنياء من الفرنجة بأكسار من الذرة ويطونهم ملأي بشهي الطعام

## والشراب» (١)

والقارئ لمجلة الفجر يجدها تماما في تخطيطها وتبويبها وأفكارها دعواتها متأثرة بالصحافة المصرية والمجلات المصرية وما كانت تحمله من دعوات لقومية الأدب المصري وخاصة أعضاء مدرسة الفجر المصرية الذين تحمسوا للادب القومي المصري والدعوة اليه .

لا غرابة في ذلك فالذين قامت مجلة الفجر علي أيديهم كان منهم معاوية محمد نور وعرفات محمد عبد الله وقد عاشا في مصر مدة طويلة من الزمن واختلطا بأدبائها، أما بالصلة الشخصية كمعاوية وإما بصلة الإطلاع والمتابعة كعرفات، والشخصيتان متشابهتان في الظروف التي مرت عليهما، وإن كان معاوية رغم الصعوبات التي واجهها لم ينحن أو يخضع للسياسة الانجليزية، كما أن وعرفات كان يدعو لوحدة وادي النيل مندوبا عن جمعية الاتحاد، جاء الي مصر لخدمة هذا الهدف تاركاً وظيفته وعمله ولكنه في مصر لم يجد الا الجوع والمرض والقهر والتشرد والضياع بين سيناء والسعودية . ووصل به الأمر في مصر أنه كان يبيع الطعمية ويلف نفسه بأوراق الجرائد خوفا علي نفسه من البرد. هذه هي مأساة عرفات التي جعلته في أخريات أيامه أكثر ميلا لتأييد السياسة الانجليزية في السودان، ان لم يكن قد أصيب بعقدة تجنب

---

١ - مجلة الفجر - العدد الأول - قل هذه سبيلي ، الافتتاحية - بقلم عرفات محمد عبد الله :

السياسة. وفي المقال الافتتاحي نراه يتهرب بصراحة من العمل السياسي ويراها شقاقا ونفاقا، ذاق عرفات الأمرين في مصر أيام مقتل السردار، فقد اتهم بقتله<sup>(١)</sup> والمسئول عما انتهى اليه عرفات هي أحزاب البرجوازية المصرية المتصارعة علي كراسي الحكم والتي لم يكن يهتما من أبناء السودان إلا الزعماء والرؤساء ، أما الأدباء وصغار المناضلين فقد كانوا عرضة للتمزق والمرض أو الجنون<sup>(٢)</sup>، ان لم يجدوا رعاية من أدباء مصر الكرام ، ولولا العون الذي كان يقدمه الاستاذ العقاد لمعاوية محمد نور واحتضانه له لانتهي هو كذلك في وقت مبكر الي ما انتهى اليه بالفعل في وقت متأخر .

لقد ساهم معاوية الذي كان يكتب باستمرار في الصحافة المصرية في فكرة تأسيس الفجر وتبويبها ولكنه للأسف لم يكتب فيها سوي مقالة واحدة بعنوان « اعطونا تعليماً » فقد اختلف مع محرريها، ثم ترك السودان وعاد لمصر مرة أخرى.<sup>(٣)</sup> والغريب أن اسهام معاوية للأدب العربي جهله وتغافل عنه الأكاديميون المصريون وكأنهم كانوا يطلبون

---

١ - أنظر مجلة القلم - شخصيات سودانية - عرفات محمد عبد الله - بقلم مصطفى أبو أشرف ص ١٦ وانظر حسن نجيلة . ملامح . عما كان يلقبه مندوبو جمعية الاتحاد في مصر من اهمال ص ١٠٣ .

٢ - أحمد خير - كفاح جيل ص ٧٢ .

٣ - عاهدين - دراسات سودانية - دراسة عن معاوية محمد نور ص ١٠٧ .

الجنسية المصرية في كتابهم .

والالاتجاه الي الواقع كان نتيجة لدعوات التجديد في الأدب السوداني وربطه بالحياة الواقعية وقد قاد هذه الدعوة كتاب الفجر وكتاب آخرون كانوا يكتبون في مجموعة من الصحف التي ازدهرت في هذه الفترة كمجلة إم درمان<sup>(١)</sup> والمرأة<sup>(٢)</sup> وجريدة النيل<sup>(٣)</sup> (١٩٣٥) - التي بدأت هي كذلك بنشر قصص قصيرة قومية الاتجاه متأثرة بالنهضة المسرحية القومية التي حدثت في الثلاثينات ، وقد وجدت أقلام بعض مدرسي مدارس الأقباط طريقها الي هذه الصحيفة وكانوا يقدمون دراسات في التربية ، وعن تعليم المرأة وعن الثقافة وتعريفها وفروعها كما كان بعضهم يكتب بعض القصص القصيرة المصرية علي صفحات الملحق الاسبوعي لجريدة النيل .

وعلي صفحات هذا الملحق نشر كل من محمد أحمد محجوب وعبد الحليم محمد عددا من حلقات كتابهما « موت دنيا » في سنة ١٩٤٢م، وقد توقف نشر هذه الحلقات لظروف الحرب وأزمة الورق كما توقف

---

١ - راس تحريرها - محمد عبد الرحيم ومن كتابها التجاني يوسف بشير توقفت بعد صدورها ولم تستمر طويلا سنة ١٩٣٦م .

٢ - مرآة السودان صاحبها ومحررها سليمان كشة توقفت سنة ١٩٣٤م .

٣ - أول صحيفة سودانية يومية - أول رئيس تحرير لها هو حسن صبحي أحد الصحفيين المصريين .

الملحق الاسبوعي لنفس السبب .

في مرحلة الثلاثينات ويفضل مجلة الفجر عرف الأدباء المصريين النهضة الأدبية في السودان وان كانت قد سبقت ذلك كتابات معاوية محمد نور ، وبعض كتابات سودانية وقصص سودانية كانت تكتب بأقلام أدباء مصريين للتعريف بالسودان ، أو لتصوير الحياة في السودان بما يشبه كتب الرحلات .

وقد أخذت الصحافة المصرية تنقل مقالات وقصصا وبحوثا عن الصحافة السودانية وقد اشترك في هذا كبريات الصحف المصرية كالرسالة والسياسة الاسبوعية والبلاغ الاسبوعي والهلل.<sup>(١)</sup>

وعندما دعا المحجوب الي الي فصل الثقافة السودانية عن الثقافة المصرية ، جرت بينه وبين حسن صبحي الصحفي المصري الذي كان رئيسا

---

١ - أنظر - الرسالة - قصة تاجوج - بقلم محمد البنداري - أول يوليو ١٩٣٣م - وقصة أمير النوبة ٢٩ / ٧ / ١٩٣٤م . حسين شوقي . والبلاغ الاسبوعي ٦ مايو ٢٧ قصة - حبوبة - محمد القرضاوي . في الوقت الذي كان يحدث فيه هذا التبادل الثقافي - كانت البرجوازية التجارية الوطنية في مصر والسودان تتبادل الزيارات هي كذلك ، وفي هذا الوقت بدأ التعليم المصري يفتح له مجالا في السودان ، وفي هذا الوقت كان المسرح السوداني يمثل رايات شوقي ويسمي نحو الاستقلال باقامة مسرح سوداني - في هذا الوقت يلتقي فنانون من السودان بفنانين من مصر ويسجل فنانو السودان أغانيهم بمصر - وتعجب أم كلثوم بفن ابراهيم عبد الجليل وفي مصر يطلقون عليه «عصفور السودان» .

لتحرير جريدة النيل مناظرة انتقلت من نادي الخريجين الي الصحف ،  
فقد كان حسن صبحي يدعو الي وحدة الثقافة المصرية والسودانية .  
وقد رد عبد القادر حمزة صاحب جريدة البلاغ في مصر علي الذين  
أرادوا الفصل بين الثقافتين من السودانيين بمقال جاء فيه « يجب ألا  
يفكر أحدنا أو أحد السودانيين في فصل الأدبين واستقلال الواحد عن  
الأخر فهو الوسيلة الوحيدة التي بقيت لنا لتكون واسطة لتقارب القلوب  
والنفوس وتكاتف الجميع وتآزرهم. (١)

هذا ودعوة المحجوب نفسها غير واضحة المعالم ولا أهدافها واضحة  
المعالم ويشقي الباحث في أن يمكس بطرف منهج فكري محدد لنقد  
المحجوب أو كتاباته ، فهو في الوقت الذي يدعو لأن تكون لكل أمة  
عربية آدابها القومية ، فإنه يقرر أن هذه الأمم تشترك في الدين واللغة ،  
ولا أحد ينكر أن يكون لكل شعب عربي أدبه ، ولكن هل يمكن أن تحدث  
عملية الفصل والبتربين الثقافات هذه ، هل نضع لها حواجز سياسية أم  
ماذا نفعل ؟ اذا كان المحجوب يعترف بأن اللغة والدين هما العنصران  
الوحيدان اللذان تشترك فيهما أمم الشرق ، أليس في هذا اثبات لما  
ينفيه المحجوب ؟ اليس اللغة في حد ذاتها تحتوي علي قيم وتاريخ  
وآداب الأمم التي تتكلم بها ، وهذه اللغة ، وهذا الدين الذي يشمل

---

١ - أنظر - عابدين ص ٢٢٩ .

الأوطان العربية كلها ، متي استطاع انسان أن يقف في موجاته الثورية  
وتياراته الثقافية؟؟

ان الثقافة السودانية منذ العصر الفرعوني كانت ثقافة توأما للثقافة  
المصرية وعندما جاءت المسيحية امتدت الي السودان ، والسودان المسلم  
كان علي صلة دائمة بالثقافة الاسلامية في مراكزها سواء أكان ذلك في  
الحجاز أم الأزهر في مصر أم في المغرب العربي وهذه البلدان كانت هي  
كذلك علي صلة مستمرة بالسودان .

هذا والنقد عموما في هذه الفترة في السودان كان يخضع للتعميم  
والتشويه في كثير من الأحيان ، وقد حملت النهضة الأدبية كثيرا من  
الكتاب علي أن يظنوا أنفسهم نقادا أدبيين ، أو شاعرا ولكنه يقول  
شعراً غير مفهوم ، وقد سماوا هذه الظاهرة الأدب المائع<sup>(١)</sup> وهو الأدب أو  
النقد الذي لا يستطيع القارئ أن يتبين لصاحبه منهجا فكريا . ولقد  
سبق أن أوضحت أن المستول عن هذا هو روح المجاملة التي سيطرت علي  
الأدب السوداني بعد أن حدث للأمين علي مدني ما حدث ، والتي فترة  
طويلة سادت روح التطيب والملاطفة والمجاملة والأحقاد وأحيانا الخوف ،  
علي مجال النقد . قد يتكلم أديب عن الأدب السوداني أو عن الحركة  
الفكرية في السودان ولكن ما يقوله من نقد أو ما يقدمه من اقتراحات

---

١ - حضارة السودان ٢٠ سبتمبر ١٩٣٤ - واجب النقد .

تصبح عملية عامة تصلح لكل زمان ومكان ولذلك لا تصلح لأي زمان أو مكان ، وحتى أصحابها يصبحون عاجزين بل أول العاجزين عن تطبيقها علي أنفسهم وعلي انتاجهم .

كتب أحد نقاد هذه الفترة يقول « لا يزال فن النقد الأدبي متأخراً متخلفاً عن فنون الأدب الأخرى ولعله من الصدق والانصاف أن نقول في هذا الصدد أن الظروف لم تنهياً بعد لا يجاد النقد الأدبي الخالص . فالأديب الذي يقوم بنقد ثمار المطابع عندنا في صحيفة من الصحف لا يتناول في الغالب من الصحيفة أجراً .. بل يتطوع به تلقاء نفسه .. أما إذا كان محرراً بتلك الصحيفة فهو يقوم بعملية النقد بالرغم منه وقد تضطره ظروف عمله الي أن يتصدي لنقد كتب لا يعلم عنها شيئاً .. أضف الي ذلك ضآلة مرتبه الذي يتقاضاه من الصحيفة، وليت شعري كيف نريد أن نجعل منه القاضي الفاضل الذي يقول كلمة الفصل في أمور الأدب وهو في صخباء من الفاقة والتشرد لا يدري هل سيصبح في الغد عالمة في فضل منقوده الذي قال فيه كلمة الحق أم لا ؟ ... عندنا لا يزال النقد الأدبي متأخراً كما قدمت، فلا قواعد مضبوطة يسير الناقد علي هديها ولا رغبة في خدمة الأدب بريئة من الأغراض، وإنما هنا تسيطر علي الناقد الصداقات والعداوات، فالناقد ينظر الي المنقود، فإذا كان من شيعته كال له المدح وأغدق عليه الإطراء اغداقاً ونعته بنعوت العبقرية من دون حساب، وإذا كان من عدوه قلب له ظهر المجن وحطم

أثره الأدبي تحطيمًا ... »

وبالإضافة الي ما سبق لا ينبغي أن يفوتنا أن هذه الصحف والمجلات كان كثيرا منها وقفا علي أشخاص معينين يمثلون اتجاهها السياسي ، والصحف أو النشر لم يكن مصدقا بها للجميع وإنما لأولئك الذين يؤمن شرمهم .

أما أصحاب التيار الوطني فلم يصدق لهم بإنشاء صحف إلا في وقت متأخر كانت فيه الحركة الأدبية قد لفظت أنفاسها وأصبح الأدب أدبا خطايا حماسيا. (١)

---

١ - أنظر حضارة السودان ٣٠ سبتمبر ١٩٣٤ - رد رئيس التحرير علي أحد الكتاب الناشئين .

## أصول الثقافة السودانية \*

مشكلة الثقافة السودانية تتمثل في أن الذين دروسوها لم يحاولوا إيجاد القاسم المشترك في مكوناتها في نطاق حدود السودان الجغرافية الحالية ، لذلك انحصرت كثيرٌ من هذا الدراسات في عملية السرد التاريخي لهذه الثقافة دون محاولة الربط بين الاجزاء المتباينة ثقافيا وجغرافيا.

ومن جانب آخر ، نجد أن هذه الدراسات أخذت جانبا من الوحدات الجغرافية أو السياسية وحاولت تحليل الوضعية في هذه الوحدات ، فنجد أن دراسات الانثروبولوجيين مثل كنسون وطلال الأسد أو دراسة ايفانز برتشرود عن جنوب السودان « النوير » أو الدراسات السودانية كدراسة عبد الغفار محمد أحمد وحسن محمد صالح ، هذه الدراسات اختارت وحدات اجتماعية معينة واطلقت عليها مصطلح « قبيلة » والسؤال المطروح الآن - هل يكون مدخلنا لدراسة الثقافة السودانية هو القبائل ؟ وهل هذا المصطلح موجود فعلاً ؟ في اعتقادي ان مصطلح « قبيلة » غير موجود وخاصة القبيلة التي تحتل مكانا جغرافيا محددًا وتتنمي الي

---

\* نشرت بمجلة الثقافة كمساهمة في ندوة ، السنة الرابعة ، ع ١٥ ، اغسطس

١٩٨٠م

اصول عرقية موحدة ، وهذه وان وجدت فهي قليلة جدا في السودان وقد لا توجد علي الاطلاق ، لان كثيرا من الدراسات اثبتت ان الصلة بين اجزاء السودان المختلفة قائمة والاتصال والتصاهر متصل بين السكان ، ومثال لذلك الدراسة التي قدمها احمد الشاهي عن منطقة «نوري» والتي تعتبر منطقة للشايقية، لان جدهم مدفون فيها ، فقد اثبتت هذه الدراسة ان الشايقية اقل عنصر موجود في نوري وقد ينطبق هذا علي كل اجزاء ومناطق السودان .

فالدراسون الذين كان بإمكانهم تأصيل الثقافة السودانية ركزوا دراساتهم علي الهوامش أو علي التجمعات المحدودة جغرافيا والتي لعب الاستعمار دورا كبيرا في تحديدها فدراسة « العنصر القبلي » كوحدة لتأصيل الثقافة السودانية أمر يجب استبعاده .

من الجانب الثاني دُرس التصوف في السودان علي أساس أنه يعكس الثقافة السودانية التي تمازجت فيها مختلف الثقافات علي مر العصور ، لكن تركيز التصوف يختلف في السودان من منطقة لأخرى بصورة لا تقبل التعميم . فلقد كان التصوف موجودا بشكل واضح في المناطق النيلية ، والمناطق الصحراوية القريبة من المناطق النيلية، مما لا يصح معه التعميم ليشمل المناطق البدوية . ومن هنا نخرج بأن دراسة الطرق الصوفية لا تكفي عند التحدث عن قضية تأصيل الثقافة السودانية .

فعند التحدث عن قضية تأصيل الثقافة السودانية تنطرح أمامنا عدة أسئلة مثلاً نتساءل أولاً : عن كيف ورثت الثقافة المروية ثقافة نبتة ؟ وكيف ورثت الثقافة المسيحية الثقافتين ؟ وكيف ورثت الثقافة الإسلامية جميع هذه الثقافات ؟ وما هو القديم الذي اكتسبته من أصول الحضارات والثقافات التي وجدت في السودان؟ فمثلاً نجد أن معظم الدراسات اتفقت على ان المسيحية كانت قوية في السودان ولكن قوة الثقافة تتمثل في بقائها فلماذا انتهت المسيحية كلية جسدياً وعقائدياً ؟ وهناك من يقول ان الثقافة الاسلامية والعربية الوافدة للسودان انما هي ثقافة سطحية غير عميقة لان الذين نقلوها للسودان هم مجموعة من التجار ومجموعة من القبائل البدوية ، لكن في رأبي انه وبالمقارنة لا يمكن ان نعمم هذا القول لان الثقافة الاسلامية والعربية من القرن الرابع عشر الي السادس عشر قد مرت بعصور الاضمحلال في العالم أجمع ، لذا فلا يمكن ان نتوقع ان تصل الي السودان كثقافة سليمة ، اذا كانت قد اضمحلت في أصولها .

حاول الاخ د . نور الدين ساتي ان يبرهن ان الثقافة السودانية ليست هامشية وانما هي بوتقة تتفاعل فيها الثقافات ونحن لم نحصل حتي الآن علي ناتجها النهائي بعد ، أي لم تتبلور للثقافة السودانية بعد . وبالمفهوم الذي عرفه بها الاخ جلاب انما هي ثقافة التلقي وليست ثقافة العطاء فاذا كانت المسيحية قد تلقيناها واذا كان الاسلام تلقيناها ،

فاننا نتساءل عن ما هو العنصر الاصيل في الثقافة السودانية الذي لم نتلقاه ؟ وما هو مدي تأثيرها في الثقافات الاخرى ؟

وعلي ضوء التلقي هذا عولجت الثقافة والديانة الاسلامية في السودان ، ولذا فقد وصفت بأنها ضعيفة وغير متعمقة . وكذلك الدين الاسلامي نفسه وصف بأنه غير متجذر في نفوس الناس .

ومن خلال تتبع الحركات الصوفية حاول الكثير من الدراسين التدليل علي ضعف الثقافة الدينية السودانية ويعزونها لسطحية لدي السودانيون في هذا الجانب، فهم لم يدرسوا الفلسفات الاسلامية المختلفة كما لم يدرسوا النظريات الصوفية ، ما عدا في فترة المهدية .

من رأيي ان هذا العزوف راجع الي عامل واحد ، وهو عامل قفل باب الاجتهاد بالنسبة للفقهاء والعلماء ، ثم حدث ان التحم هؤلاء الفقهاء والعلماء مع الاجهزة الحاكمة . وظهر الصراع بين وحدتين من المفكرين في العالم الاسلامي ، الفقهاء والعلماء من جهة . والمتصوفة من الجهة الاخرى .

كان من هم المتصوفة الإلتصاق بالرعية . اما الفقهاء والعلماء فقد توحدوا مع الحكام ، وكان أن تعالوا علي الرعية . هذه المشكلة حلت بسهولة في السودان . فالفقهاء استطاعوا ان يوحدوا بين الظاهر والباطن في الدين . وهذه كانت مشكلة مستمرة بين الفقهاء في العالم الاسلامي وفرقت بين المسلمين في كثير من المواقف . بل ان المتصوفة استطاعوا

إقامة دويلات لهم داخل الدويلات الإسلامية القائمة . وخير مثال لذلك ان مجتمع الخلوة او مجتمع التصوف كان مجتمعا متكاملا ولا تستطيع الدولة اختراقه والتدخل فيه ، بل له صلاحية التدخل في شئون الدولة ، فهذه التجمعات الصوفية حمت رعاياها من تغول الحكام وسطوتهم ومحاولاتهم المستمرة للسيطرة على ثرواتهم وتجنيد غرباء لقهر هذه المجتمعات المحلية ، كما حدث في مصر والعالم الإسلامي ككل . فمثلا بمجرد انتهاء عهد الخلفاء الراشدين عمد بعض الخلفاء من الامويين خاصة الي الاعتماد علي عصبية لقهر رعايا لا ينتمون لهم فمثلا أستخدم النوبيون لقهر المصريين في مصر ، استخدمهم الماليك لحد كبير . وعندما جاء صلاح الدين الايوبي حرر الماليك والاشيدين والامويين من سيطرة النوبيين لذا فإن تجربة السودان انما هي فريدة في هذا الجانب لعدم توافر مثل هذا النوع من التسلط .

ظهر الجندي الغازي لأول مرة في السودان مع الحكم التركي ، ولأول مرة ظهر جنود يشبهون في كثير من الاحيان المرتزقة ، في كونهم يسيطرون علي مجتمعات اخري . يحكمون هذه المجتمعات ولا يمثلون أي انتماء عنصري او قبلي لهذه المجتمعات وفي العهد التركي ظهرت عملية تسليط السودانيين علي بعضهم البعض .

والخطر الوحيد الذي واجه الاتراك عند غزوهم للسودان هو عدم مقدرتهم علي كسر حاجز او استيعاب الحركة الصوفية ، لذا لمجدهم قد

أخذوا في تطوير الجانب العقلاني في الدين وبدأوا يعتمدون علي الفقهاء والعلماء بعيدا عن المعتقدات الروحية التي كان يؤمن بها المتصوفة . ومن هنا بدأ الخلاف بين العلماء والفقهاء من جهة ، والصوفية من الجهة الاخرى والذي كان ماثلا في العالم العربي قبل اربعة او خمسة قرون من تاريخ حضورها في السودان .

اعتقد الاستعمار الاوربي دائما ان الحركة الصوفية هي الخطر الأساسي ، فهي القادرة علي تحريك الجماهير ، ولذا فإن قيام الحركة المهديّة ازعجه بصورة واضحة ، ولقد كانت الثورة المهديّة نتيجة مباشرة لمحاولات التركيبة المستمرة للقضاء علي الارث الثقافي المتمثل في الوحدات والكيانات الدينية والاجتماعية والسياسية التي اقامها الصوفية في السودان . فالمهديّة قامت أساسا لإقامة العدالة الاجتماعية ، وبالطبع كانت الدول الاستعمارية تسعى لاستغلال البلدان المستعمرة ومنها السودان . لذا فأول ما هدفت إليه هو تحطيم مثل هذه النظريات كنظرية الثورة المهديّة لانها إعتمدت علي الوحدات الهامشية كما اسماها د. نور الدين ساتي او الثقافات التي تحاول فرض سيطرتها علي المركز . فالبدو كانوا دائما سند المتصوفة وفي جميع الثورات الاسلامية كانوا يتبنون الدعوة . فمحاولة الاطراف للسيطرة علي المركز انتهت بعملية الفتح المهدي . ومن ثم شملت المجتمع السوداني .

وانا اعتقد ان المهدي كان صوفيا ، وهو لم يجدد في الثقافة

السودانية بقدر ما كان مخلصا لهذه الثقافة التي ورثها عن المتصوفة الأوائل . فحاول تطبيق هذه الصوفية بخلق تجمع سياسي اجتماعي اقتصادي عسكري . علي مستوي أكبر من مستوي المجتمعات التي امل المتصوفة - امثال الشيخ حسن ود حسونه وغيره في إنشائها .

اما الخليفة عبد الله التعايشي فقد كان يخشي هذه التجمعات والوحدات ، سواء أكانت قبلية ام صوفية لذا فقد لجأ وسيلة كان يلجأ اليها الخلفاء الاسلاميون خاصة في عهود اضمحلال الخلافة وظهور الدولة العثمانية ، وهي عملية التحريك المستمر لهذه الوحدات والتجمعات حتي لا تجرد أى فرصة للتجمع والتوحد .

عندما عاد الاستعمار مرة أخرى للسودان ، نجح هذه المرة في ترسيخ أقدامه ، لانه تمكن من استيعاب الحركة الصوفية في البلاد . فنجد انه تبني حركتين صوفيتين في السودان . حركة الانصار ، وحركة الختمية ، ومن رأى ان الخلاف بين الحركتين كان سياسيا وليس دينيا . ولأول مرة في تاريخ السودان تحدثت المواجهة بين الحركات الصوفية . ونجد ان الاستعمار استطاع ان ينمي هاتين الحركتين بينما اغفل بقية الحركات الصوفية الأخرى التي ظلت تواصل رسالتها علي نفس المنوال ، عدا بعض محاولات الاستعمار في توزيع الانواط والنياشين علي بعض شيوخ الطرق لاستمالتهم .

وفي تاريخ السودان لم نسمع بصراع واضح قام بين المتصوفة أولا

لأنهم كانوا لا يملكون جيوشا معدة . وكثيرون منهم قتلوا لافتقارهم لمثل هذه الجيوش . كانوا يملكون فقط مجتمعات صغيرة كاملة . كان يمكنهم تسليح أفرادها، لكن كانت أهدافهم تبعد عن هذا ، فكل ما يهمهم هو السعي وراء تنمية الثقافة واطاحة الحرية الكافية للانتقال بين الثقافات المختلفة، لذا فقد ساد نوع من طرق صوفية مرنة حتي جاءت حركة المهديّة « الانصار » والختمية فكان من المستحيل ان ينتمي الفرد الي الحركتين معا في وقت واحد .

فالعنصرية والقبلية والعرقية في السودان لم تفلح في التوحد كما توحدت الصوفية فمثلا حروب الشايقية فيما بينهم أكثر من حروباتهم مع القبائل الأخرى . وتاريخ السودان ملئ بمثل هذه الصراعات . لكننا نلاحظ ان الصراعات الدينية الفكرية قليلة جدا فحملة الثقافة الاسلامية كان يهمهم نشر الدين الاسلامي . لذا فقد سادت روح التسامح في دعوتهم . ونحن نتساءل هل روح التسامح هذه مورثة من المسيحية ؟ وهل كان الاسلام في السودان متسامحا مع المسيحية ؟ وهل ، كما يردد الكثيرون ان زواج البنت هو الذي ادي الي ان يرث العربي الملك ام أنهم اغتصبوا الملك بحد السيف ؟

في اعتقادي ان الحروب هي التي ادت الي انتقال السلطة للعرب وقد سادت الثقافة الاسلامية بعد ذلك عن طريق الانتقال اليسير المتسامح التلقائي من الديانة المسيحية الي الاسلامية . وحتى العرق

الذي كان يؤمن بالديانة المسيحية وهم العنج ، فنجد انه في القرن الخامس او السادس عشر لم يبق شخص واحد من هؤلاء . يعتنق الديانة المسيحية هذه في شمال السودان ، او اواسط السودان بل ان استمرار وجود العنج كعرق امر مشكوك فيه ، فاين ذهبوا ؟ هل شملهم التسامح واعترف بهم داخل القومية العربية ام صفوا جسديا ؟